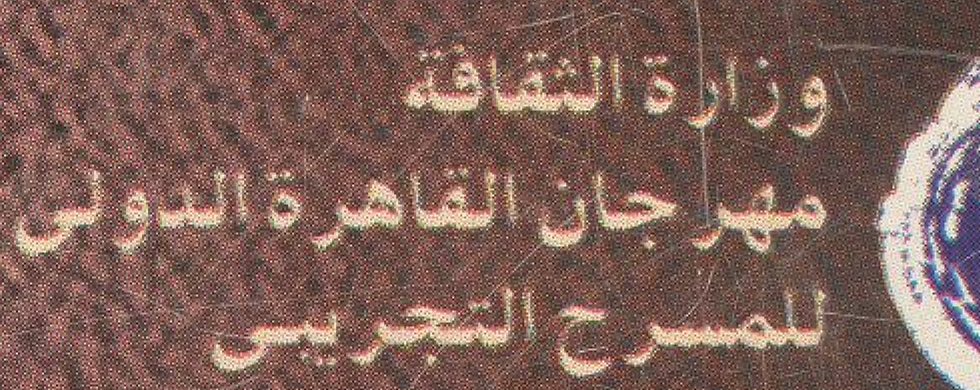




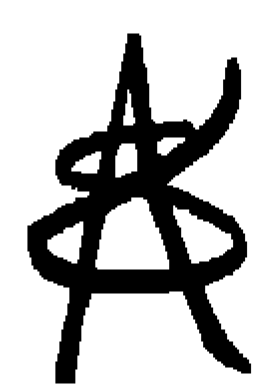


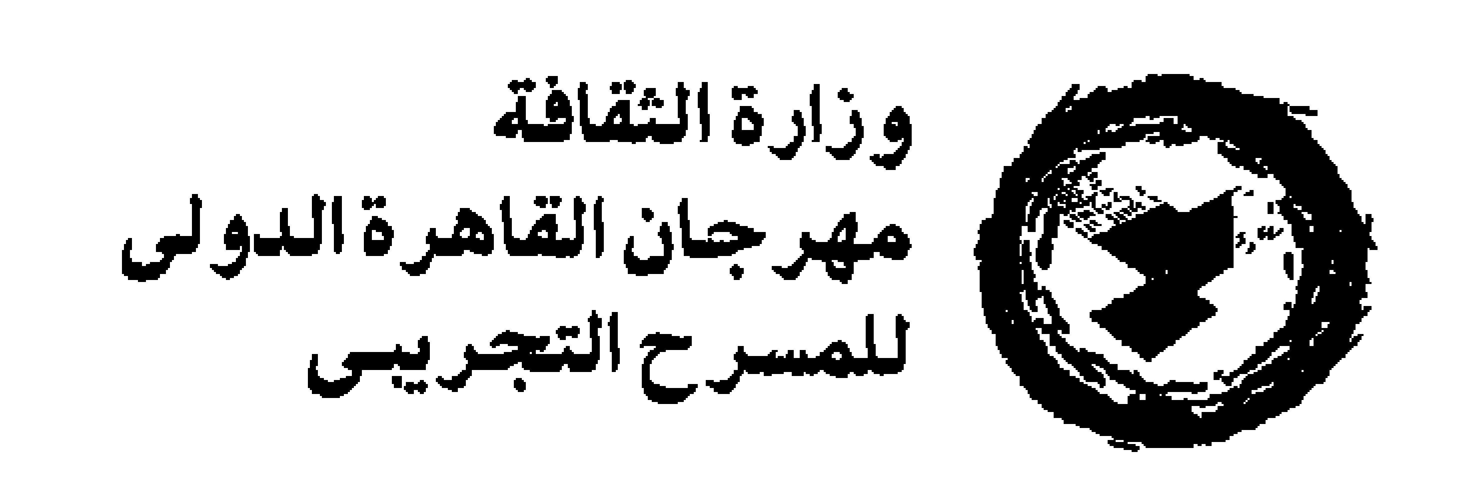




تأليف: كريستوفر هامبتون

ترجمة وتقديم: د. محسن مصيلحى





الحرباء البيضاء

تأليف : كريستوفر هامبتون

ترجمة وتقديم : د . محسن مصيلحى

تصميم وتنفيذ : آمال صفوت الألفى
مطابع المجلس الأعلى للآثار

هذه ترجمة خاصة ، احتفاء بالكاتب كريستوفر هامبتون ، أحد المكرمين فى المهرجان هذه الدورة

White Chameleon

Christopher Hampton

Faber and Faber

London - Boston

1991

كلمة وزير الثقافة

يمتلك الإنسان طاقة رائعة هى قدرته على التجريد ، وخلق كيانات مجردة نتيجة وعى يتجاوز الحواس الخمس ، هذه الطاقة هى التى تخلق المجتمعات وتقود الإبداع ، وتقاوم كل أنماط الانحطاط، إنها مجموعة القيم والمفاهيم التى تجعل إدراك الإنسان للواقع يتقدم ، بل وتجعله يتعلم من نفسه ومن العالم المحيط به.

والمشكلة فى تصورى أن نجد اسلوب ذلك الاقتراب من العالم والواقع الجديد المحيط بنا ، وفى تصورى أيضا أن رؤانا للواقع والعالم تتطلب أن نزيل الحواجز التى تغيب رؤيتنا ؛ أى أن نمتلك طاقة الحرية، فالحرية وحدها هى التى تجعلنا نعرف كيف نرى، وكيف نتخيل ، وكيف نبدع.

ومهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى ، هو أسلوب للاقتراب من العالم، يحمى حرية المبدع ؛ إذ مفتاح الإبداع والتجديد الثقافى ليس فى التقليد لأنماط ، بل هو فى صدق المبدع وحريته.

لقد كان علينا أن نتيح هذا المناخ المشحون بالكهرباء ، مفعمين بالامل، لأننا نعى أننا نصوغ ونخدم مصالح وطن، وهذا الوعى الراسخ هو الذى يجعلنا نرفض الاشباعات السهلة، ونُدين مساندة السذاجة ، ولا نقع فى شرك التشويش، والأمل لدينا لا يفتر فى تلك العقول القادرة على التقييم الصحيح لمستقبل الثقافة والفن فى هذا الوطن.

هذه هى الدورة الثامنة لهذا المهرجان ، الذى يحرض المبدع على أن يكون أكثر انفتاحاً، وأكثر ابتكاراً ، ويبعث فينا البهجة ويخلصنا من الامتثال للقولبة ، ويستثيرنا بالتحدى ، وينزع منا الخوف من الحرية.

فاروق حسني

وزير الثقافة

كلمة رئيس المهرجان

مسرح امريكا اللاتينيه

حقيقة، إن كل ماينكسر خارجنا له رنين في داخلنا، لكن الأدب والفن يعمقان الرنين، ويستولدان سؤال المصير. فهذه القارة-أمريكا اللاتينية- التى تعرضت لانكسارات اجتماعية، وانتكسات اقتصادية، وتشويهات ثقافية، وافتقادات لمساحات من ترابها، وتفتيتات لكيانها؛ نكاد نراها واضحة فى صورة رمزية أبتدعتها مخيلة الكاتب «جابرييل جارسيا ماركيز» فى روايته الفذة « مائة عام من العزلة» وتحديداً عندما يُبتلى أهالى مدينة «ماكوندو» بمرض الارق الغامض ، الذى يؤدى إلى نتيجة حرجة ، هى فقدانهم ذاكرتهم. «فالمريض عندما يتعود على حال السهد يبدأ بنسيان ذكريات الطفولة التي تنمحي من ذاكرته، يتلوها نسيان الاسم ومعنى الأشياء ، واخيرا هوية الأشخاص ، وأيضا الوعى بالذات، حتى الغرق فى بلاهة بدون ماضى». وفى محاولة أهالى «ماكوندو» للتغلب على صعوبة تذكرهم للأشياء راحوا يكتبون الأسماء على الحاجيات من أجل معرفة ماهيتها وتذكرها. «فبفرشاة مغموسة فى الصبغة سجل كل شئ باسمه: مائدة، كرسى، ساعة، باب، حائط، سرير، كسرولة. ذهب إلى الحظيرة والحديقة وسجل الحيوانات والنباتات . بقرة، تيس، خنزير، دجاجة... فهم أنه يمكن أن يأتى اليوم الذى يتعرفون فيه على الأشياء من أسمائها المكتوبة؛ لكن دون أن يتذكروا استعمالاتها، ومن ثم صارت الأمور واضحة، فالورقة المعلقة فى رقبة البقرة تعطى عينة نموذجية للطريقة التي كان يناضل بها سكان ماكوندو» ضد النسيان : هذه بقرة، يجب حلبها فى كل صباح لكى تعطى اللبن، واللبن يجب غليه لخلطه بالقهوة، وعمل قهوة باللبن. وهكذا واصلوا العيش فى واقع متزلق يمسك به مؤقتا بالكلمات؛ لكنه واقع كان ينبغى أن يهرب دون أمل في إمساكه عندما ينسون قيمة الحرف المكتوب».

إن هذه الصورة الإبداعية ذات الحضور الكلى بعمقها النفسى، هى شهادة تكثف أزمة الذاكرة؛ أى أزمة هذه القارة، اذ تجسد مشكلة الحفاظ على الماضى ؛ بل ومدى الاحتفاظ به، كما تتساءل عما سوف يبقى من أمريكا اللاتينية أمام انتهاكات طوفان النسيان. إنها تطرح السؤال المزدوج للهوية والمغايرة، كنتيجة للتحولات التي اكتسحت العالم فى العقود الأخيرة، فخيال «ماركيز» المبدع يطرح السؤال الذى لن يعفى منه أحد في هذا الزمن المعاصر .

وفى تصورى فإن شرط المواجهة لا يتطلب الخداع، أو لعبة الخطاب المستتر؛ بل خرق الصمت ؛ إذ جوهر المواجهة الحالية هو «المنطق» الخاص للمبارزة؛ بمعنى أن التحدى هو الذى يعيد الشرف والمكانة والحضور. والخطاب العلنى المتكامل المتلاحم المتماسك، هو الذى يوفر لممارسات المجتمع أن تتخذ شكلا جماعياً؛ يرفض صوره العجز العام فى مواجهة بنية هيمنة النسيان؛ وذلك بالتحدى المكشوف كفعل لتأكيد الذات، بقراءة الصورة الاجتماعية الحقيقية، "وإعادة النظر" بتسمية الأشياء وتحديدها.

لقد تمت مواجهة طاعون النسيان الطاغي؛ ليس بالتعايش معه؛ بل بالوعى به، وبما يؤدى إليه من «بلاهة»، فقد أمسك أهالى «ماكوندو» بشوابتهم، ولو مؤقتا: بالكلمات. وكان عليهم الاستمرار فى ملاحقته، إما بأن لا ينسوا قيمة الحرف المكتوب، أو بأن يجدوا بديلا من أشكال مواجهة انتهاكات النسيان . وبمعنى آخر بألا تتأكل إرادتهم أمام مرات الفشل. تماماً كما فعل بطل «الحب فى زمن الكوليرا » الذى تمسك بحبه لأكثر من نصف قرن. لقد بقى خائراً، ولكن لم يهجره الأمل حتى أدركه.

فالدعوة الى تسمية الاشياء وتحديدها صار هما اساسيا تواجه فيه هذه القارة نفسها بنفسها، ماهى أمريكا اللاتينيه تلك التي تمتلك حاليا خمس عشر لغة هنديه - امريكية ولغة لاتينيه هى الفرنسية، ولغتين اوروبيتين غير لا تنيتين هما الانجليزية والهولنديه، بالاضافه الى اللغتين الرسميتين الاسبانيه والبرتغالية، وتمتلك ثقافة خلاسية تنوعت مكوناتها حتى واجهتها مشكلة تحديد هويتها...!! ... ؟. أيعنى التساؤل الاحتياج الى ما يشحذ طاقة وقدرة جماهير هذه القارة لمقاومة هيمنة طاغية؛ أم أنه يعنى نوعا من الزهو بالمغايرة. أم أن التساؤل ذاته يسهم فى تكوين ذلك «المفهوم» عن أمريكا اللاتينية ؟ قد يكون ذلك كله أو جزء منه صحيحا لكن

الممارسات البشرية لا تبقى دائما مغلقة، فحين اجتمع مجموعة كبيرة من نخبة مثقفى القارة فى «ليما» عاصمة «بيرو» تحت مظلة «اليونسكو» فى محاولة الإجابة عن السؤال لتحديد «المفهوم» كانوا قد أعطوا لممارساتهم معنى ... لقد راحوا يطرحون تساؤلات تمس التاريخ والواقع والفكر؛ وهى مكونات «المتخيل الاجتماعى»، الذى يحوى جملة التصورات والرموز والمعايير والقيم التي تكسب كل مجتمع بنيته اللاشعورية، فهم يرون «ضرورة النظر الى القارة بدءاً من معاصرتها ورجوعا الى الماضى» وفق منهج يرتكز على فرضية "أن وحدة أمريكا اللاتينية غير قابلة للشك بدءاً من مجمل تاريخها؛ لكنها غابت عن الأنظار خلال عملية تكوين القوميات التي جرت فى القرن التاسع عشر" ويؤكدون على ضرورة " اعتبار أمريكا اللاتينية كلا واحداً تشكله التشكيلات السياسية القومية الراهنة". وقد أسفرت اجتماعاتهم عن إصدار سلسلة من الدراسات تحت مسمى «أمريكا اللاتينية فى ثقافتها »، بقصد البحث عن «مفهوم» القاره كما تبلورها المظاهر الثقافية للقارة. وفى تصورى فإن البحث فى الممارسات الثقافية يعنى تهديداً بالمغايرة وتجديداً للاتصال وتعميقاً للوعى. بل إنه مقاومة حقيقية وشكل فى أشكال المواجهة.

وقد كانت نتائج المؤتمر العالمي الرابع لمسرح العالم الثالث الذى انعقد فى مدينة «كاركاس» بفنزويلا عام ١٩٧٦، تعزيزاً لاستمرار هذا التحدى المكشوف، والرغبة الحرة فى الانتماء وتسمية الأشياء فى مواجهة منطق نمط السيطرة الذى يقوم على التفتيت التام للقار؛ إذ قرر المؤتمرون ضرورة إقامة ورشة لمسرح أمريكا اللاتينية يتحدد هدفها فى وضع أبحاث وتطويرها سعياً للوصول إلى الأشكال المسرحية المناسبة لخلق مسرح يلبى متطلبات ودرجات تطور بلدان أمريكا اللاتينية، وتبنت «أليونسكو» مشروع إقامة الورشة الدائمة لمسرح أمريكا اللاتينية التي تتولى نظريا وتطبيقيا قضايا ومشكلات المسرح فى القارة، وتعددت الورش المتفرعة وفقا لمجالات المسرح المتعددة؛ مثل ورشة حول أوضاع المخرجين الشبان، وورشة حول الدراما فى أمريكا اللاتينية، وورشة للمعاهد المسرحية ولقضايا تدريب الممثل، وورشة حول مراكز الأبحاث المسرحية والنشر فى أمريكا اللاتينية ؛ وفى تصورى فإن إقامة الورشة التي تعمل على تضمين عناصر الحضارات الثلاث:«الهندية الحمراء، والإسبانية، والافريقية.» انما هو تجسيد

لخطاب التواصل والتكامل الحضارى بين المكونات الثقافية للقاره، وشكل من أشكال تسمية الأشياء وتحديدها .

إن هذا الإعلان الواضح عن التراث المكتوم والملتزم بحلقائه الحضارية، يسعى لتعميق الوعى «بالموزاييك الثقافى» لهذه القارة، كنتيجة لتوحد الإرت الهندى والأيبيرى والأفريقى، كثلاثة فى واحد، وهو إرث يعكس إرادة تأكيد الذات فى مواجهة تحدى الاغتراب الثقافى ، بطرح الخصائص الفريدة التى تتميز بها الشخصية الاتينية الأمريكية؛ أى تلك الطاقة الداخلية التي تدفعها نحو تكامل ثقافى دائم من خلال الصهر والاستيعاب، وهما ماشكلا هوية الإحساس الوطنى القومى الذى رافق مراحل استقلال بلدان القارة ، وهو الاحساس الذى واجه موجات المهاجرين الأوربيين في القرن التاسع عشر والعشرين، ولم يسمح باقامة أقليات عرقية تشكل تكتلاته متفارقة وجماعات طاغطة.

ولا شك أن الكشف عن التراث المكتوم من «موقع اجتماعى» أو «مكان اجتماعى» مفتوح للتجمعات، كالمسرح، يتيح إمكانية انتشار إعادة انتاج القيم والمعايير التي يعكسها النتاج الثقافى القائم سابقا بمضمونه التاريخى العام، ويقبل به المجتمع ويستوعبه، وهذا مايؤكد أهمية الدور الحيوى الذى يلعبه المسرح كأحد«المواقع الاجتماعية» فى مواجهات التحدى؛ خاصة وأنه يقال إن «سندريللا الحقيقية لثقافة أمريكا اللاتينيه هى المسرح».

إن الخيال هو وسيلة المبدع «ليقص» الحياة ويطرح رؤيته، وهو أيضا أداته للعب مع الزمن، كى يصد الموات وكى لا يفقد الإنسان الأمل ، ومثلما كانت «شهر زاد » تروى حكاياتها الخيالية على «شهر يار» كى تصد الموت عن نفسها، فيتراجع الموت كلما تقدم أمام حكاياتها الجذابة، التى تفصل «شهريار» عن العالم المنظور، إلى عام غير منظور، فتلهب خياله فيرجئ قتلها، كذلك فإن كتاب ومبدعى أمريكا اللاتينيه بخيالهم السحرى وطاقاتهم الخلابة فى صياغة فضاءات إبداعاتهم، يدفعون الموت والضياع والانسلاخ الثقافى عن شعوبهم-رغم مأساوية الظروف التي تعيشها مجتمعاتهم؛ إذ فى قائمة ديون العالم الثالث تعد اكثرية بلدان امريكا اللاتينية من

البـلاد المدينـة-ذلك أنهـم يدركـون أن ثـروة البلدان لا تـرتبط فـقط مـاديا بازدهار الصناعـات، وإنما تـرتبط أوثق ارتبـاط باسـقلالـهـا وامنهـا ، والقـضـاء على «الأمـوال السـوداء» التي تشـترى الضـمائر بالرشوة، فتـهـدد النسيج الاقـتصـادى والاجـتمـاعـى، فيزول العدل، وتتعطل المسئولية، وتغيب الديمقراطيه وتكافؤ الفرص .

ويرافق جهـود المبـدعين دور السلطات العـامـة. فـرغم أن المنظومـة الاقـتـصـادية السيـاسـيـة فى أمريكا اللاتينيـة مـهـددة بقـانـون «التـقـادم التـاريخى» إلا أن السلطات العامة لا تتخلى عن دعم وصياغة السياسات الثقافية تكريسا للهوية ، والتي ترتكز أساساً على «التكامل والتمازج» باستيعاب وصهر قيم ثقافية متعددة الجنسيات، كما تشدد هذه السياسـات الثقـافية على توليد الوعى بالحاجة الى اثبات الهـوية الثقافيـة، وتشجع القدرة الخلاقـة وتوجهها نحو إعادة أكتشاف القيم التي تنتسب إلى الثقافة الوطنيـة بشكل خاص في مواجهـة هجمـة «التأورب» وتنمى الوعى بالمواطنة المسؤولة، وتؤكد على ثقافة ديمقراطيـة، بتـحريك القناعـات والقـيم والمثل والمشاعـر. فقد أقامت السلطات العـامـة فى المكسـيك متـحفـاً للرشوة والفسـاد ، إذ يذهب المكسيكيون خلال عطلة الأسبـوع مع عـائلاتهم لزيارة هذا المتحف الذى شيد من الثراء المحرم. إن إقامة المتحف نوع مـن الاحتشـاد ضـد الفسـاد ، وتأكيـد للعقـاب عليه، بل تسميـة للأشيـاء وتحديدها ، يمنح الحيـاة معنى أكبر من أن تكون قطعـة لحم ويعنى أن الجـسد أكـثـر من ثياب ترتدى.

كـمـا تؤدى المنظمـات الحرة غـير الحكومـيـة دورها بمسـاع تنويرية على المسـتوى الإقليـمـى والقـارى مـثل منظمـة *Conciencia* الأرجنـتـينيـة، التى أقـامت شبكة عـلاقـات مع بقـيـة دول القـارة مـثـل تشـيلى، البـرازيـل، أوروجـواى، باراجـواى، بيـرو، اكـوادور، كـولومـبـيـا ، المكسـيـك، كـوسـتـاريكا ، بوليـفـيـا ، هندوراس، السلفـادور، الدومنيكان، لتـعـميق الدعـوه للديمقـراطيـة، وعـقدت عـام ١٩٨٧ «مؤتمر أمريكا اللاتينيه الأول» ليناقش دور المرأة فى تعزيز الديمقراطيـة ، كمـا أسفر هذا المؤتمر عن تشكيل لجنة «من أجل دعم وتعزيز الديمقراطيـة فى دول أمـريكا اللاتينية» وتوالت المؤتمرات العـامة تحت مظلة هذه المنظمـة غير الحكومية التى شغلها همّ تحديد نموذج تنظيمى على صعيد أمريكا اللاتـينـيـه، وتبـادل التـجـارب، ووضع اسـتـراتـيـجـيـات مـشـتـركـة للتربيـة المدنيـة.

ويماثل هذا النشاط مساهمات منظمة *Libro Libre* غير الحكومية التى تمارس فعالياتها فى أمريكا الواسطى فى ترويج الثقافة الديمقراطية، وتطوير الثقافة السياسية، والتربية المدنية فى إطار الديمقراطية.

هذه القارة بتجربتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الكاملة، تستحق منا الالتفات إليها والحوار معها، وخاصة فنونها وثقافتها الخلاسية المتوترة، الساعية للتكامل، والتي صاغت بشر هذه القارة، وطبعتهم بخصوصيتها، فانعكس ذلك على الابداع والمبدعين خيالا ولغة، وإتسمت إبداعاتهم بطابع «الباروك» الذى أنتج بالمواجهة بين ثقافات وأجناس مختلفة تهجيناً خاصاً. وقد تطور وتجدد حتى أصبح أسلوبهم الشرعى الراهن المتميز، كوليد لوجدان خاص يمتلك رصيداً من المعطيات الجغرافية والتاريخية المتفردة، شكلت اتجاهاً يبحث عن الأصالة، ويواجه الافتقاد والنقص. هذا الاتجاه «الباروكى» يستخدم التوفيق، والتنويع والمزواجة، والسخرية والترادف والمعارضة، والطابع الكرنفالى، كما يدرج فى صياغاته الاقتباس المندمج «التناص» . والاستحضار والإخفاء، والحذف والكولاج، والجناس التصحيفى والجناس الاستهلالى، والتكرار والتنافر وانقطاعالتجانس؛ ويستخدم اللغة التصويرية والصريرية المتعددة الألوان، إنه يسعى للانصهار بإلغاء الحدود الزائفة، ويخترع الألفاظ والتراكيب. إنه يرفض كل تأسيس ويمزج بين كل الأنواع؛ فهو يعكس واقع أمريكا اللاتينية ذات الوجود «الباروكى»، وهو يهدف إلى إعادة هيكلة لغته او إعادة اكتشاف لغته ذاتها. إنه أيضا إحدى محاولات «تسمية الأشياء».

لقد واجه مبدعو وكتاب هذه القارة واقعهم القومى باستنفار دائم حانق، فراحوا يبحثون عن الجوهر من خلال الخيال الآسر والفانتازيا والمهارة الفردية الفاعلة؛ ففتح ذلك أمامهم آفاقاً من حرية المغامرة الإبداعية الشخصية فى التعبير ، وأعاد خلق لغتهم للنفاذ إلى جوهر ماهو قومى. وحررهم من عبء توثيق الواقع والنمذجة والمحاكاة الأمينة للواقع، وفرض القطيعة مع الجاهز والمكرور، ولا شك أن «انقطاع التقاليد» لا يعنى رفضاً تاماً للماضى بقدر مايعنى إبداعا جديداً، رؤية جديدة، ليست استنساخاً لنماذج، بل هى نتاج جدلى للتقاليد، أى استمرار وتغير واتساع، واستلهام لما لم يندثر

بعد من الوعى الجماعى، دون الارتباط بصياغات مشلولة مفلسة تعجز عن أن تجعل الكاتب يدلى بشهادته أمام عصره، محتفظاً فى ذات الوقت بجذوره ومنتسباً لماضيه. ملتصقاً بجوهرة، مستخدماً مفردات اللغة الخفية متحرراً من القيود .

ولعل الواقعية السحرية *Magic Realism* التى شاعت فى الثمانينيات فى هذا القرن تعد إحدى تجديدات كتاب هذه القارة، حين انطلقت إبداعاتهم -كما عند «جابرييل جارثيا ماركيز» و «اليخو كاربنيتر» و «رينالدو ارييناس» و «دانيل مويانو» وغيرهم - تحاول إدراك جوهر الواقع المتحول، والعثور على وسائل إبداع جديدة للتعبير عنه، فقد رأينا أعمالهم تحمل غرائب ومستحيلات تجاور وتتداخل مع تفاصيل الواقع المألوف، حيث يمزج الواقع بالفانتازيا بالأسطورة بصور من عالم غير مرئى؛ حتى شكل كل ذلك واقعاً سحرياً مختلجاً له جمالياته الخاصة، وهو يسعى لانتهاك الواقع الراهن وتجاوزه، ويتمرد على بنيته وجمود منطقه، ويسخر منه وبسائله، ويرفضه ويتحداه.

وتيار التجريب الراهن فى مسرح أمريكا اللاتينية يسعى لذات الهدف، إذ يرفض كل أسس الطمأنينات الخادعة التى يوفرها اجترار الأنواع الفنية التقليدية، فينسف تلك الأنظمة بمعاييرها الاصطلاحية ولا يتستر عليها، ويتبنى مغامرة الاختلاف، ويطرح منطق التشابك، ويخترق ثوابت الحدود بين الأنواع الأدبية والفنية، ويجرب مدى مطاوعتها للامتزاج، ويستوعب أشكالا تعبيرية «فوق - ادبية»، فيهز التقاليد الفنية ويجادلها ويضعها فى حالة استنفار، ويجبرها على أن تتخلى عن مرجعيتها المستقرة، ويخلق الانتظار واللاوثوق، يرتكز على الواقع لكنه لا ينقله مقيداً به، بل يسلك كل دروب الحرية. إنه ببساطة يمارس التجاوز إنقاذاً للإبداع.

حقيقة إن الأرجنتين وتشيلى والمكسيك تعد المراكز المسرحية المشعة، لكن الحركة المسرحية التجريبية فى بلدان القارة تحتضن العديد من التجارب المتنوعة. فإن كنا نجد «مارتا مينوخن» فى «بونيس أيرس» تمارس تجاربها فى تقديم العروض المسرحية التى تشحب فيها «الكلمة» كعنصر أساسى للدراما، ويتقدم عليها عناصر العرض الأخرى؛ فعلى الجانب المواجه نرى تجارب «ألفريدو رود ريجث ارباس» فى الأرجنتين تعيد الى

«الكلمة» قيمتها، فيخلق بنيات مسرحية تتخذ من طريقة الالقاء الشكلية أساساً لتقديم نص «قصصى».

وتفترش إبداعات التجريب ساحات المسارح فى بلدان القاره يقودها نخبه من المبدعين نطرح بعضا منهم. فمثلا نجد فى «الارجنتين»

«اجوستين كوزانى *Agustín Cuzzani* » و«اوسبالدو دراجون» الذى كرمه مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى فى دورته السابعة، و«داكيرو ساينث *Saenz* »

و«روبرتو كسا *Roberto Cossa*» و«ريكاردو تالسنيك *Ricardo Talesni*»، وفى المكسيك «اميليو كاربا ييدو Emilio Carballido»

و «خورخى ايبارجو ينجويتيا *Jorge I barguengoitia* »، وفى تشيلى

«خايمى سيلبا *Jaime Silva*» و«ايجون فولف *Egon wol FF*»

و«كارلوس سولورثانو *Carlos Solorzano* » وفى كوبا

«خوسيه تريانا* Jose Triana»، و«هتكور كينتيرو *Héctor quintero*» و«خيسوس دياث» *Jesus Díaz*» و«انطون أرَّفات *Antón Arrufat*»

وفى البرازيل «خورخى اندرادى*Jorge Andra de*»،و«الفريدو دياز جومز A lfredo Días Gómes» و«ادوفالدو فيانا *O duvaldo Viana*»، وفى السلفادور «منين دسليال *M.Desleal* »، وفى كولومبيا «انريكى بونيا فنتورا *Enrique Buenaventura*»، الذى كرمه مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى فى دورته السادسة.

وتجارب هؤلاء المبدعين المتنوعة تسعى للانفلات من القواعد والصيغ المكرورة، سواء فى البناء المعمارى للمسرح، أو فى علاقة الجمهور بالممثلين، أو هيمنة فكرة «الوهم

---

* *ترجم أ. فتحى العشرى الى العربية مسرحيته " ليلة القتلة "*

بالواقع»، أو سيطرة البناء المرتكز على «الحكاية»، أو جبرية الحدود الفاصلة بين الأجناس والأنواع الأدبية والفنية.

هذا الإبداع الجديد ترافقه حركه نقدية تصدر عن حساسية فنية تعتمد على القراءة الاستشفافية لتضئ تلك الإبداعات ، من أشكال ورموز، وعلاقات بين رموز ، فتكشف عن طاقتها، أى تضئ ماهو جوهرى وكامن فى الإبداع، فيصبح النقد مغامرة دائمة لفك رموز العالم الإبداعى ، تجعل من علاقته بالعمل الفنى تجربة حية وفريدة.

وانطلاقا من أن الخيال لا يسكن ويبحث دائما عن المعنى، ويجعل الوعى يلاحق المعانى ليمتلئ وجوده ،-إذ المعنى هو الذى يخلق الوجود، فإن مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى فى بحثه الدائب عن تيارات الإبداع التى تحرك الثقافات ، والتى تتجسد فى طرائق التعبير والآثار الفنيه، لاثراء الحركة المسرحية المصرية، فإنه يطرح فى هذه الدورة الثامنة مسرح أمريكا اللاتينيه، كموضوع لندوته الرئسية التى يشارك فيها مبدعون ونقاد من أبناء هذه القارة، يقدمون رؤاهم وتجاربهم وهمومهم، وإلى جانبهم مجموعة من المبدعين والنقاد من أوروبا وأمريكا والعالم العربى يتناولون إبداعات مسرح أمريكا اللاتينية وكيف يرونه.

وقد قامت إدارة المهرجان فى إطار إصداراتها بترجمة ستة كتب ضمن مجموعة مطبوعاته هذه الدورة، تتناول جوانب من مسرح أمريكا اللاتينية، قام بترجمتها نخبة من شابات وشباب مركز اللغات والترجمة بأكاديمية الفنون، وهى «المسرح الجديد فى كولومبيا» تأليف جونتالو ارسيلا، و«المسرح الشفهى التمثيلى» تأليف فرانثيسكو جارتون، و«مسرح أمريكا اللاتينية» تحرير مجموعة من الباحثين، و«نحو نقد جديد ومسرح جديد فى أمريكا اللاتينية» تأليف الفونسو دى تورد وفرناندو دى تور، وكلها بأقلام أبناء هذه القارة، بالإضافة إلى كتاب«المسرح المستقل فى الأرجنتين» تأليف ديفيد ويليام فوستر، وكتابه ابن وجدان وثقافة مغايرة ، ثم مجموعة من إبداعات مختارة لمسرحيات معاصرة من هذه القارة.

وتظل الحركة المسرحية المصرية مدينة بالفضل للفنان فاروق حسنى وزير الثقافة صاحب فكرة هذا المهرجان وراعيه، الذى ضخ به شحنات إبداعية اندفعت تغير إيقاع

الحياة المسرحية المصرية والعربية، بحثا عن التفرد وإيمانا بأن الفن ليس هو الجمود، وإنما هو المقذوف خارج المألوف والمعتاد، الذى يؤجج الحياة، إنه ليس خطاباً أو مقولة فكرية.

أ.د. فوزي فهمي

رئيس المهرجان

نص الرسالة التى خص بها كريستوفر هامبتون النسخة العربية لمسرحية الحرباء البيضاء والتى ترجمها مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى احتفاءً بتكريم المؤلف في دورته الثامنة .

ترجمة نص الرسالة :

نبذة عن المسرحية حسب طلبكم

عزيزى ا.د . فوزى فهمي ،

لم أحاول من قبل تضمين معلومات شخصية بطريقة مباشرة فى سياق مسرحية ، وقد يوضح هذا الموجز دواعى استخدامى لهذه المعلومات . ولأبدأ بمثال واضح : لم نكن أنا وعائلتى فى مصر "يوم السبت الأسود" ، بل حضرنا إلى الاسكندرية عام ١٩٥٢ بعد مغادرة الملك"فاروق" البلاد . ومن ناحية أخرى فقد صادف يوم وصولى إلى الأسكندرية ذكرى ميلادى . وقد بدا لى أن هذه المصادفة - إذا أضيفت إلى حقيقة أن حادث الإسماعيلية أدى إلى تحديات حقيقية بلغت ذروتها فى غزو السويس - تبرر استخدامى لها فى المسرحية . فكل مشهد - تقريبًا - يخلق توافقًا مماثلا بين الذكرى وبين ما اعتبره ردود فعل مؤثرة من الناحية الدرامية لهذه الذكرى . وبالطريقة نفسها - رغم أننى أحاول أن اتذكر وأصور نفسى كطفل بدقة قدر الإمكان - فإن الشخصيات الأخرى في المسرحية قد تعرضت لتعديلات لا مفر منها . فبدلا - مثلا - من تسمية الوالدين في المسرحية بأسماء والدىّ ، فإننى أطلقت عليها اسم "والدة كريستوفر" ، و "والد كريستوفر".

مثال أخير : في حين أنه من الصحيح أن "طربوشى" قد صودر وأننى تلقيت من ناظر مدرستى الإعدادية العطوف ، إنذارا موقوتًا ، لصدور ملاحظات غير وطنية منى، فقد كان أخى "بوب" الذى يكبرنى بسبع سنوات ، والذى كان قد غادر إنجلترأ لقضاء إجازته عام ١٩٥٦ هو الذى حُرق طربوشه في مدرسته الحكومية التي كانت تهتم بعلاقاتها واتصالاتها فى مجال (البحرية) اهتماما بالغا . وأنا أقوم بموازاة الشخصية والارتقاء بالحدث . أو بعبارة أخرى : إتباع ما هو مألوف فى مجال الفن القصصى باختصار ، كانت الحرباء هناك ، لكنى أظن أنها كانت أقرب إلى اللون الأخضر منها إلى اللون الأبيض .

كريستوفر هامبتون

تقديم

كريستوفر هامبتون

السكندري الهوى والجذور

د . محسن مصيلحي

حين قدمت مسرحية كريستوفر هامبتون الأولى : ***متى رأيت أمي آخر مرة ؟*** عام ١٩٦٦ كان هامبتون في العشرين من عمره ، فهو من مواليد ١٩٤٦ ولم يكن عنوان المسرحية فقط هو الذى آثار تعليقات متباينة ، ولكن صغر سن هامبتون نفسه كان مثار مقارنات مع من سبقوه من الكتاب الصغار السن وأهمهم شيلا ديلانى التى كتبت مسرحيتها ***طعم العسل*** وهي في عمر هامبتون تقريباً . وكما نجحت ***طعم العسل*** نجاحاً مدوياً ، نجحت ***متى رأيت أمي آخر مرة ؟*** من مسرحية فى طور التجريب فى نظام كان يتبناه مسرح الرويال كورت بتقديم العروض الجديدة فى شكل بسيط فى ليالى الأحد فى يونيو ١٩٦٦ [(١)] ، إلى مسرحية عابرة للأطلنطي : من لندن إلى نيويورك ، من حى الويست إند إلى برودواى .

وربما كانت تلك المسرحية الأولى خير دليل على رحلة هامبتون الأدبية ، فهى مسرحية بسيطة تعرض لعذابات البلوغ وتدور حول قيام تلميذ بإغراء أم زميله مما يقودها إلى الانتحار . كما أن هذه المسرحية – كمعظم أعمال هامبتون – ليست مقطوعة الصلة بالأدب العالمى ، فهى تعتمد إلى حد ما على علاقة الشاعر " رامبو " بـ " ڤيرلين " . فى ذلك العام كان هامبتون فى أكسفورد يدرس اللغات الأوربية ، ولا شك أن دراسته تلك قد تركت آثارها على أسلوب وتقنية مسرحيات هامتبون التالية . فقد أعتمدت معظم مسرحياته (باستثناء ***متوحشون*** *Savages* ١٩٧٧و***الحرباء البيضاء*** ١٩٩١) على أصول أدبية ، او استلهمت هذه الأصول بدرجة أو أخرى .

شغل هامبتون وظيفة " كاتب مقيم " فى مسرح الرويال كورت من عام ١٩٦٨ – ١٩٧٠ ، وفى هذين العامين أبدع هامبتون مسرحيتين هما ***كسوف كلى*** ١٩٦٨ و ***محب البشر*** *The philanthropist* ١٩٧٠ – والمقابلة مع مسرحية موليير الشهيرة ***كاره البشر*** أوضح من أن يشار إليها . وفى المسرحيات الثلاث التى قدمها هامبتون فى ظل سنوات حاملة بالغليان والتغير الاجتماعى ، بدا واضحاً أن القطيعة حتمية بينه وبين جيله المعروف بانتماءاته اليسارية ، والذين وجدوا مأواهم فى مسرح الرويال كورت ، وهكذا ترك هامبتون ذلك المسرح .

في تلك السنوات أيضاً وصفه الناقد الشهير كنييث تانيان بأنه " ناعم " يهتم بالأسلوب والشكل والمهارة والذكاء ، مثله مثل الآن إيكبورن ، وتوم ستوبارد ، على عكس بقية جيله " الخشن " أمثال هيوارد برنتون ، وداڤيدهير ، وأدوارد بوند ، أو على عكس الجيل السابق الذى كان يسعى لهدم المؤسسات الاجتماعية والسياسية القديمة المتهالكة - ولعلنا نتذكر جون أوزبورن ، وأرنولد ويسكر . وعلى عكس أبناء جيله ، لم يكن لأحداث باريس ١٩٦٨ أى تأثير عليه ، كما أن حركة التحرر النسوى لم تترك هى الآخرى انطباعاً عليه ، بل إن معظم شخصياته النسائية تكاد تكون هامشية .

وربما تساعدنا مسرحية ***الحرباء البيضاء*** على تفهم جذور انعدام ثقة هامبتون في الأيدولوچيات السياسية بل أنعدامها فى أى يقين ، لكن دراسة هامبتون للغات الأوربية تفسر تلك الصلة الدائمة بينه وبين كتاب أوروبا الكلاسيكيين . لقد أكسبته اللغات قدرة على الترجمة ، وعلى الاستفادة من الكتاب الذين يلبون رغبته فى تجاهل السياسة ومتاعبها ، والاهتمام بالذكاء والمهارة والتلاعب بالألفاظ فى بناء شخصياته المسرحية . كان هامبتون دائماً على وعى بالتناقض بينه وبين أبناء جيله فهو يصف نفسه ووضعه فى هذا الجيل بقوله : " لقد كنت كلاسيكياً فى عصر الرومانسيين "... كانت رغبة هامبتون أن يترك تراثاً من المسرحيات الجيدة الصنع والمحبوكة والمبهجة ، حين كان الاهتمام بالمشاكل الآنية هو شاغل الكتاب الآخرين [٢] .

لقد امتد إهتمام هامبتون باللغات إلى محاولة البحث عن أساليب خاصة ، محاولاً تجنب الوقوع فى أسر الأساليب المعروفة ، وقد انتجت علاقته باللغات ، وبكتاب أوربا الكلاسيكيين عدة ترجمات ، رأى عدم دقة ترجماتها السابقة مثل ***هيدا جابلر*** (١٩٧٠) ***وبيت دمية*** (١٩٧١) ***والبطة البرية*** (١٩٧٩) لإبسن ، ***والخال ڤانيا*** (١٩٧٠) لتشيكوف و ***دون چوان*** (١٩٧٢) لموليير . لكن العلاقة الأكثر أهمية هى علاقة هامبتون بالكاتب النمساوى أودون ڤون هورڤات (١٩٠١ - ١٩٣٨) ، والذى كان معروفاً على نطاق ضيق فى بريطانيا حين قدم هامبتون ترجمته الأولى لمسرحياته .

ترجم هامبتون مسرحية هورڤات ***قصص من غابات ڤيينا*** عام ١٩٧٧ ، لكن المسرحية ومؤلفها كانا مصدر إلهام لمسرحية أخرى كتبها هامبتون بعد ذلك بسنوات وهى مسرحية ***قصص من هوليوود*** (١٩٨٣) التى تجرى أحداثها فى مجتمع المهاجرين الألمان فى كاليفورنيا خلال الحرب العالمية الثانية ، ومحاولتهم التواؤم مع بيئتهم الجديدة . إنها مشكلة " الجذور " ، أو مشكلة التلون كالحرباء وفقاً للبيئة والحالة الوجدانية ، وهى نفس المشكلة التى يعود إليها هامبتون بعد ذلك بسنوات فى مسرحيته ***الحرباء البيضاء*** ولا تكتفى مسرحية ***قصص من هوليوود*** – التى عرضت على المسرح القومى البريطانى عام ١٩٨٣ – ببحث تأثير البيئة على الإنسان ، أو قضية الاغتراب الثقافى، بل إنها تتخذ من شخصية هورڤات بطلاً لها ، بل ***ورواية*** مثل بطل ***الحرباء البيضاء*** ، إلى جوار بعض الشخصيات الثقافية الألمانية الأخرى مثل توماس مان ، وهينريش مان ، وبرتولت بريشت ، الذين يحاولون التكيف مع مجتمعهم الأمريكى الجديد .

فى تلك السنوات كتب هامبتون أيضاً مسرحيته ***مُتع Treats*** ، ، لكنه قام عام ١٩٧٨ بترجمة مسرحية أخرى لهورڤات هى ***دون چوان يعود من الحرب*** ، التى كتبها هورڤات – فى فترة صعبة من حياته كان يعانى فيها من مشكلة الجذور والأصول . بدأ هورڤان وفقاً لما يقوله هامبتون فى تقديه لنص الترجمة المنشور – العمل مبكراً فى المسرحية ، أى فى حوالى عام ١٩٣٤ ، حين كانت ألمانيا مقبله على كارثة تاريخية ، لكنه أختار فترة حافلة بالتغيرات الاجتماعية العميقة ، وهى فترة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، لكى تجرى فيها أحداث مسرحية [٣] .

ولم يتوقف هامبتون عن الترجمة والإعداد ، فترجم لهورڤات أيضاً مسرحية ***اليقين والأمل والصدقة*** ، ولكن رواية ***علاقات خطرة*** التى كتبها لاكلوس فى القرن الثامن عشر فى شكل رسائل ، تظل أصعب وأشهر أعمال هامبتون فى مجال الإعداد المسرحى بل والسينمائى أيضاً وقد شغلت السينما (والتلفيزيون أحياناً الذى كتب له مسرحية ***بئر هابيل***) موقعاً هاماً فى إبداعات هامبتون . فقد أعد السيناريو السينمائى لأعمال

أدبية عالمية مثل رواية جراهام جرين ***القنصل الفخرى*** ، ورواية مالكولم برادبورى ***رجل التاريخ*** ، ورواية أنيتا بروكنر ***فندق لاك*** . وقد تطور اهتمامه بالسينما ليدخله فى عالم الاخراج أيضاً ، وها هو مهرجان فينيسيا السينمائى (١٩٩٦) يعرض له فيلمه الأخير ***العميل السرى*** من إبداعه وإخراجه أيضاً وفى العام الماضى قدم فيلم كارينجتون من تأليفه وإخراجه ، كما قدم له المسرح القومى الملكى البريطانى إعداده لقصة لويس كارول الشهيرة باسم ***مغامرة أليس فى العالم السفلى*** .

عن الحرباء البيضاء *White Chameleon*

برغم مسرحية ***الحرباء البيضاء*** عرضت عام ١٩٩١ ، إلا أن شكلها الدرامى ينتمى إلى شبة ظاهرة شهدها المسرح البريطانى فى السبعينيات من هذا القرن ، وهو الشكل الذى يعتمد على ذكريات الكاتب أو شخصيته - التى قد يستعير لها نموذجاً تاريخياً- أى أنها بنائياً تتكون من مشاهد تعتمد على استدعاء الماضى . ومن خلال هذه المشاهد يعرض الكاتب لقضية هامة ، هى فى حالة هامتبون كيفية تكونه وجدانياً وفنياً فى الاسكندرية فى النصف الأول من الخمسينيات . وغالباً ما يكون هذا النوع من المسرحيات وكأنه اعتذار من المبدع عن فشله فى الحياة ، أو عدم قدرته على التواؤم مع ماديتها أو اضطرابها . ولأن هذا الشكل المسرحى يعتمد على ذاكرة تبقى على أشياء وتستبعد أشياء أخرى بشكل اعتباطى ، فإنه شكل سيال ، مرن ، يعتمد فى المقام الأول على شخصية الراوية - وهو غالباً البطل صاحب القصة- لخلق نوع من الحميمية مع المتفرج . فى حقبة السبعينيات ، شهد المسرح البريطانى مسرحيات مصاغة فى هذا الشكل لـ " بيتر شافر " و " سيمون جراى " و " چون مورتيمر " ، و"الان بينيت " و " بيتر نيكولز " .[٤]

وكما أشرنا أنفا ، فقد كانت مشكلة الجذور أو الأصول تؤرق هامبتون منذ وقت مبكر ، ثم حاول هامبتون جهده العثور على هذه الجذور من خلال استرجاع بعض من حياته فى الاسكندرية . ولم يكن ذلك أمراً سهلاً عليه فهو يعترف بأن المسرحية " عصرت منه عصرا مشهدا بمشهد ، وكانت كتابتها كخلع الأسنان " .[٥] قرر هامبتون

الاعتمادعلى ذاكرته فى كتابة المسرحية ، ولهذا لم يعد إلى مصر إلى أن انتهى من كتابة النسخة الأولى من المسرحية . لكنه عاد إليها ومع مصمم ديكور المسرحية المشهور " بوب كراولى " - بعد أن انتهى من الكتابة . يعلق هامبتون على قراره بعدم العودة قائلاً : " كنت أحاول تجنب الحنين الوردى إلى الماضى ، لكننى كنت سعيداً باكتشاف اننى لم ارسم صورة المصريين بشكل عاطفى : انهم فعلا أناس جذابون ولديهم إحساس بالفاكهة " .(٩)

حين عادهامبتون إلى الاسكندرية ، وجد كل شيئ شهده صبيا فى مكانه ، حتى المنزل الذى عاش فيه مع أسرته رغم تحوله إلى مبنى مدرسى ، كما أن بائع الحلوى الذى يشير إليه فى سياق النص تعرف عليه فورا . لقد عاد هامبتون إلى موطن " الحرباء " الذى أكسبه لونه ، فكما تغير الحرباء لونها إجباريا وفقاً للبيئة المحيطة ، ووفقا للحالة الوجدانية ، فإن الصغير " كريس " تلون إجباريا بسبب الإسكندرية التى تهجرنا إن أجلا أو عاجلا ، وبسبب علاقته الفريدة بخادم الاسرة إبراهيم الذى " لعب " معه وكأنه طفل آخر رغم قلبه المريض . ولإبراهيم أيضاً علاقة بالحرباء الواردة فى عنوان هذه المسرحية الجميلة والآسرة ، فهو قادر على التلون وفقا لبيئته وحالته الوجدانية . إن إبراهيم مجموعة متناقضات كما يرسمه النص : يسرق الخمر من مخدوميه ويعلن رفضه لها ، وهو محايد جداً ، لكنه متشيع للبريطانيين ، فى جملة واحدة ، وهو قادر على التفاهم مع المصريين قدرته على خدمة البريطانيين ، وهو قادر على سياسة زوجتين إحداهما ألمانية الهوى والأخرى بريطانية النزعة .

لكن إبراهيم ليس شخصية واقعية فقط ، فهى شخصية تذكر القارئ أو المتفرج بتراث المسرح العالمى . فالصغير كريس لم يعرف ما حدث لإبراهيم أبدا بعد مغادرته الاسكندرية بسبب العدوان الثلاثى ، لكن البالغ كريستوفر هامبتون يرسم مشهدا مؤثرا فى نهاية المسرحية يدور بين والدكريستوفر وبين إبراهيم وفيه يبدو أثر تشيكوف واضحا ، وبالتحديد فى مسرحيته **بستان الكرز** . فإبراهيم - مثل فيرس - يقف وحيدا فى المنزل المهجور بعد رحيل الأسرة ، وصوت النهابين يحطمون النوافذ الزجاجية فى

مسرحية هامبتون ، وهو الصوت الذى يستحضر صوت الفئوس القاطعة لشجر الكرز فى مسرحية تشيكوف : كلاهما يعلنان موت العالم القديم وولادة العالم الجديد من أحشائه .[٧]

والمسرحية فى أحد وجوهها الرئيسية ، آهة تحسر رقيق على سنوات الصبا اليافع فى الإسكندرية المفتقدة فى رحلة حياة كاتب . فهى لم تكن مجرد معبر فى حياة هامبتون بل كانت حجر الزاوية فى تكوين وجدان وقناعات هذا الكاتب . لقد استوعب الصبى هامبتون كل مفردات الحياة المصرية ، بما فى ذلك النشيد الوطنى الجديد وقتها ، رغم عدم معرفته باللغة العربية . وقد ساهمت تلك المفردات - التى ظلت قارة فى وجدانه - فى تكوين رؤية عالمية شاملة تتضمن الوعى السياسى القائم على التجربة بكلمات مثل الاستعمار ، والدهماء ، والانتماء ، والوطنية ، والممارسات السياسية لرجال السياسة .

كانت الاسكندرية للصبى هى المعنى والمبنى : صوت الباعة فى الطرقات ، وصوت المؤذن يعلو بالتكبير ، وصيحات الحواه ، ونداء " الخواجات " . وحين شب عن الطوق اكتشف هامبتون معان أخرى للإسكندرية ، تلك المعانى التى عايشها وجربها أدباء وكتاب غربيون من قبله ، كتاب فتنوا بسحرها فى لحظات التواصل وعانوا من هجرها حين لوحوا لها بالوداع . اكتشف هامبتون أن إسكندرية أباه كانت بشكل من الاشكال هى إسكندرية ا . م . فورستر صاحب رواية ***الاسكندرية*** ، ولورانس داريل ، وكڤافيس.

تركت الاسكندرية أثرها الدائم على هامبتون ، هى التى لونته كالحرباء ، وهى التى كونت جذوره غير القابلة للاقتلاع ، حتى حين شب عن الطوق وعاش معظم وقته فى هوليوود ولندن . ويبلور بطل ***الحرباء البيضاء*** فى مفتتح المسرحية قضية الانتماء فى كلمات حاسمة : " قيل إن الإنسان قوى الذاكرة لايتذكر أى شيئ لأنه لاينسى أى شيئ. وعلى نفس المنوال يمكننا القول إن الإنسان القوى الجذور يأخذ تلك الجذور على علاتها ، بينما الإنسان الذى لاجذور له يصبح على وعى مضاعف بها ". لقد غاص هامبتون فى بحار الذكرى ، ورسم صورة شجيه لتلك المدينة التى شكلت وجدانه ، كما

رسم صورة أسيانة للرجل المريض إبراهيم الذى ظل فى خياله دائماً ، ورسم صورة فاتنة لعلاقاته مع المصريين ، برغم تعرضها لرياح السياسة العاتية . وكم كانت الصورة مبهجة للعين ، وكم كان الصوت مطرباً للأذن ، وأنا أسمع النشيد الوطنى المصرى القديم، فى المسرح القومى البريطانى عام ١٩٩١ . ساعتها كان لصوت النشيد ، ولبعض الكلمات المصرية البسيطة ، وللعلاقة الفاتنة بين كريس و إبراهيم وقع السحر ، وساعتها عرفت اسم الساحر : كريستوفر هامبتون: السكندرى الهوى والجذور .[٨] لعل هذه الترجمة تعرفكم بهذا الساحر وتضعكم فى قلب عالمه السكندرى الجميل .

د. محسن مصيلحى

المعهد العالى للفنون المسرحية-يوليو ١٩٩٦

هوامش

1- Philip Roberts, ***The Royal Court Theatre: 1965- 1972,*** Routledege &Kean Paul, 1986, p. 46.

2- See, 'A Dangeraus Liason : A Profile,' by Clare Bayley, ***Theatre*** , 4 (July 1991) , P. 20.

3- Horvath, ***Don Juan Comes Back Fram the War,*** translated by Hampton, Faber & Fber, 1978, P.5.

4- Richard Allen Cave, ***New British Drama in Performance on the London Stage, 1970-1985,*** Gerrads Cross, Colin Smythe, 1989, P.251.

5- 'A Profile," ***op. cit,*** p. 23

6- ***Loc. cit.***

7- Clare Colvin, ' ***White Chameleon'***, ***Plays and Players***, April 1991, P. 25.

٨- لمزيد من التفاصيل هذا عن العرض المسرحى ، راجع محسن مصيلحى: "كريستوفر هامبتون يبحث عن جذوره فى الإسكندرية " ، **صحيفة صوت الكويت**، ١٢ يونيو ١٩٩١، ص١٥.

إهداء

إلى أبى .

وإلى ذكرى أمى بى .پى .هاملتون (١٩٠٦-١٩٦٥)

الشخصيات

- كريس
- فريق السباحة المصرى لعبور المانش
- إبراهيم
- "روبين هود"
- "لورد نلسون"
- والد كريستوفر – الأب.
- إدوارد
- البرت ايشيريدج
- ممثلو مسرحية "عدو الشعب"
- حارس مصرى
- فؤاد
- كريستوفر
- أم كريستوفر . الأم
- "الثور الجالس"
- "روب روى"
- أولاد فى كلية ڤيكتوريا
- أولاد فى مدرسة بليمبتون الابتدائية
- بول
- أولاد فى مدرسة هيلسايد الابتدائية
- الناظر

المشهد الرئيسى للمسرحية هو منزل المهندس فى شارع طيبة فى الإسكندرية ، فى السنوات بين ١٩٥٢ و ١٩٥٦ ، وبعض الأماكن الأخرى التى يشار إليها فى النص .

كريستوفر ووالده يجب أن يلعبهما ممثل واحد – وهذا يعنى أن هذه الازدواجية موجودة فى بناء المسرحية . وعلى هذا فيمكن لاربعة ممثلين أن يلعبوا كل الشخصيات المصرية (باستثناء ابراهيم) ، كما يمكن لأربعة أطفال أن يلعبوا أدوار التلاميذ الصغار (باستثناء كريس) . ولو قام ممثل واحد بلعب دورى إلبرت إيشيردج والناظر (وهناك ما يبرر هذا فى البناء الدرامى) فإن المسرحية تتطلب طاقما من ستة عشر ممثلا .

إن الفكرة القائلة بأن كل كاتب يكتب عن نفسه ، ويرسم شخصيته فى كتبه لهى فكرة صبيانية ورثناها عن الرومانسية .. فلو حدث ووضع كاتب نفسه فى الصورة ، فهو أمر نادر الحدوث أن يتحدث عن نفسه كما هو فى الحقيقة .

البير كامو ، ***اللغز*** ، **١٩٥٠**

فى منتصف الليل ، حين تسمع فجأة ،
صوت موكب خفى يتهادى ،
على الموسيقى والأصوات العذبة ،
فلا تندب حظك الضائع
ولا العمل المضيع ، ولا مخططاتك
التى أثبتت مراوغتها - لاتندبهم بلاجدوى :
كإنسان قادر تملؤك الشجاعة .
قل لها وداعا ، للاسكندرية الراحلة .
وأول شئ ، لاتكن أحمقا ، لا تقل
إنه كان حلماً ، فقد خدعتك أذناك :
لا تعرض نفسك للإهانة بالآمال الفارغة تلك ،
كإنسان قادر تملؤك الشجاعة ،
كما ينبغى لشخص مثلك حظى بمدينة كهذه ،
اذهب بثبات إلى النافذة ،
وانصت بكل عميق المشاعر ،
وليس بانتحاب وتضرعات الجبان،
انصت - فتلك متعتك الأخيرة - للأصوات ،
للموسيقى الجميلة لهذا الموكب الغريب ،
وقل لها وداعاً ، للاسكندرية الراحلة .

قسطنطين كفافيس

الفصل الأول

(واحد)

تسمع الدقات الافتتاحية المثيرة ، إن لم نقل الرائعة ، للنشيد القومى المصرى ، مفسحة الطريق لنفس النغم معزوفا على البيانو ، بينما ترتفع الإضاءة لتكشف عن لوحة غريبة : عدد من الرجال الضخام ، السمر ، ذوى الشوارب ، يرتدون ثياب استحمام قديمة النمط ، بخطوط أفقية عريضة زرقاء وبيضاء ، ينشدون النشيد وكأنهم فرقة رباعية من المجانين يعزفون أمام صالون حلاقة . يصحبهم فؤاد ، فى ثوب الاستحمام أيضا ، وهو ضخم مثلهم ، يجلس إلى بيانو قائم يقود العزف عليه "كريس" - وهو صبى إنجليزى فى العاشرة من عمره ، وإن كان ضئيل الحجم قياسا بعمره ، مرتديا "شورت" أبيض طويل ، ونظارات سميكة العدسات ، يقود الآخرين بصوته عالى الطبقة . كل شئ يسير على ما يرام لمقطعين تقريبا ، لكن المنشدين (باستثناء كريس) يبدأون فى فقدان الخيط حتى تتلاشى أصواتهم . فؤاد يتوقف عن العزف ، ويدق على قمة البيانو ، ويصدر تعليمات حادة باللغة العربية .

(المنظر ، وهذا مجرد اقتراح ، هو بهو على سطح سفينة بريطانية . الزمن سبتمبر ١٩٥٦.)

(فؤاد يلتفت إلى كريس ، ثم بمنتهى الرقة يقول)

فؤاد : المقطع التالى ، لو سمحت .

(فؤاد يعزف ، بينما ينشد كريس سطرين تقريبا ، ثم يتوقف فؤاد عابساً.)

عفوا : أنا لا أفهم هذا المقطع تماما . ما معناه ؟

كريس : لا أعرف .

فؤاد : آه .

كريس : أنا أعرف الكلمات فقط ، لكنى لم أفهم أبداً معناها .

فؤاد : كيف إذن ... عر ... ؟

كريس : فى السينما . نحن نذهب للسينما ثلاث مرات أسبوعيا . وهم دائما ما يعرضونه قبل عرض الفيلم الكبير .

فؤاد : فهمت ، طبعا، نعم نعم .

كريس : إنهم يعرضون الكلمات مع كرة نطاطة **(يمثل الكرة النطاطة بإيماءة ، متحركا من اليمين إلى اليسار ، كما ينبغى للكرة أن تتحرك فوق نص عربى)**... لكننى لا أقرؤها ، لقد حفظتها فقط من خلال الصوت .

فؤاد : فهمت . هل يمكن إذن أن تتعطف وتسمعنا الصوت ثانية؟ **(كريس ينشد السطور ثانية . فؤاد ينحنى فى اعتراف بالجميل ، ثم يقوم لينضم لرفاقه. نقاش حيوى يبدأ باللغة العربية حول المعنى المحتمل للكلمات . وبينما يحدث هذا فى الخلفية، يظهر رجل متوسط العمر فى ركن آخر من أركان خشبة المسرح ، ثم يتحرك للأمام ليخاطب المشاهدين . يرتدى الرجل حذاء خفيفاً ، وقميصاً قصير الأكمام ، ونظارة بعدسات سميكة.)**

كريستوفر : من بين أشياء أخرى ، تلك قصة قيامى ، وأنا فى العاشرة من عمرى ، وقبل ستة أسابيع من غزو السويس ، بتعليم فريق السباحة المصرى لعبور المانش ، نشيدهم القومى الجديد نوعا ما ، عفوا ، أقصد أنشودة التحرير ، على سطح عابرة بريطانية عتيقة ، فى بقعة ما فى البحر الأبيض المتوسط .

(يختفى . الفريق تمكن من إنهاء المناقشة اللغوية بإجماع على معنى معين ، وقد عاد فؤاد إلى البيانو . أعضاء الفريق يغنون سطرين ، ثم يتوقف فؤاد ، مبتهجاً.)

فؤاد : هل تود تناول بعض البسكويت بالشيكولاته قبل أن نبدأ ؟

كريس : بالتأكيد .

(يخرج فؤاد علبة من الشيكولاته المساعدة على الهضم من مكان ما ، ويعرضها على كريس ، الذى يأخذ واحدة ، ثم يأخذ هو بعضها ، ثم يمرر العلبة إلى زملائه ، الذين ينسفونها فى ومضة)

فؤاد : طاقة ، كما تفهم . جزء من تدريباتنا.

(أعضاء الفريق يمضغون برضا للحظة . فؤاد ينظر إلى ساعته، وهى سميكة ، مقاومة للماء ، ذات سوار من الصلب) ومادمنا نتحدث عن التدريب ، فعلينا أن نعود إلى حمام السباحة . ربما كان بإمكاننا أن نتابع دروسنا فى وقت لاحق .

كريس : فى أى وقت تشاء .

فؤاد : كنت دائما أقول إن هناك صداقة طبيعية بين شعبينا وهذا هو الدليل ! نحن نتسامى على حماقات السياسيين .

كريس : والنشيد القومى ...

فؤاد : نشيد التحرير .

كريس : نعم ، متى تقومون بإنشاده ؟

فؤاد : على الشاطئ ، قبل النزول إلى الماء . إنه سوف يرفع معنوياتنا .

كريس : أنا لم أكن أعرف بوجود سباق عبور القناة .

فؤاد : آه ، نعم ، انه يقام بتشجيع من السيد ويليام باتلين المشرف على

معسكرات الأجازات ، ونحن أبطال السباق . هذا هو السبب فى أننا نأخذ تدريباتنا مأخذاً جدياً لدرجة لا تجعلنا نملك الوقت الكافى لكى نحفظ كلمات نشيدنا . نحن فريق جيد . نحن نفوز دائما تقريبا . نحن أصحاب الرقم القياسى .

كريس : لقد فهمت .

فؤاد : أعتقد أن هذا هو سبب قولكم : الدهماء [١] هم أول من يصل إلى كاليه [٢] .

(تنتاب كريس لحظة من عدم التأكد قبل أن تدفعه الأمانة إلى المجازفة بالتصحيح.)

كريس : أعتقد أن القول هو الدهماء يبدأون من كاليه [٣] .

(فؤاد يعبس ، وهو يفكر فى القول للحظة ، ثم يهز رأسه ، ويرخى حاجبيه.)

---

(١) هذه أفضل ترجمة ارتأيتها لكلمة WOGS العامية ، والتى تشير إلى الغرابة . والاستغراب، وخاصة إلى الرجال الشرقيين المتشبهين بالغرب ، كما تشير إلى غير البيض ، خاصة الهنود ، وفيها بعض التحقير. (المترجم)

(٢) سباق عبور المانش يبدأ من ميناء "دوفر" الانجليزى حتى ميناء "كاليه" الفرنسى . (المترجم).

(٣)المقولة تظهر مدى عنجهية الإنجليز الذين ينظرون إلى الآخرين باعتبارهم أقل تحضرا ، وهؤلاء الآخرين يبدأون من ميناء كاليه الفرنسى. وسيتم استخدام كلمة Wogs بهذا المعنى أكثر من مرة فى سياق النص . (المترجم)

فؤاد : لا أظن أن هذا القول صحيح . لا . لأننا ننهى السباق عند كاليه ، كما تعلم . إذن ربما كان القول هو : الدهماء يبدأون من دوڤر .

(يبتسم ابتسامة لطيفة ، ويحنى رأسه بلطف لـ "كريس"، ويصدر أمرا قصيرا بالعربية ، ويقود فريقه إلى الخارج . الفريق يخرج وهو ينشد نشيد التحرير بصوت خفيض جليل).

(اثنان)

تتغير الاضاءة : كريس يختفى ، ويعود كريستوفر .

كريستوفر : حين وصلوا إلى إنجلترا ، منعهم بيللى باتلين من السباق، لأسباب وطنية، كما قال : أقلها انهم كانوا بلا شك سيفوزون بالسباق . كان ذلك هو ضيق الأفق الذى جعلنى أظن أن صديقى كان على حق : ربما كان الدهماء يبدأون من دوڤر .

على أى حال . لقد قيل إن الرجل ذو الذاكرة القوية لا يتذكر أى شئ لانه لاينسى أى شئ : وشئ شبيه بهذا أن نقول : إن الرجل ذو الجذور يتصرف دون قلق على جذوره ، بينما الرجل منبت الجذور كلية يظل على وعى قوى بتلك الجذور ، كألم خفى فى ضلع مبتور . إن أطول فترة متصلة قضيتها فى أى بلد كانت عامان ونصف قضيتها فى محل ميلادى ، مدينة صغيرة تسمى "فايال" فى بلاد آچور Azores[1] . وليس هناك حاجة للقول بأنه لم يبق عندى من ذكرياتها أدنى أثر .

---

(١) تنطق أحياناً آزور، وهى مجموعة من الجزر شبه مستقلة عن البرتغال، وتقع فى شمال الأطلنطى، ومساحتها ٢٣٠٠ كيلومتر، وعدد سكانها يقترب من النصف مليون.

لا جذور هناك إذن. أما ذكرياتى الباكرة فهى عن أراضى عدن الجدباء ، مثل سطح القمر ، وإن كانت أكثر سخونة ، لكننا عشنا هناك لمدة ثمانية عشر شهرا فقط ، وقد كنت مرتاحا للرحيل لأننى كنت قد بدأت تعليمى فى دير الكاثوليك ، وأصبحت هدفا لتسلط راهبة شديدة القسوة، ذات شارب . إذن ، لا شئ هناك أيضا. لا ، فالمكان الذى اخترته لاسقاط مرساتى يجب أن يكون هنا :

(يسقط الضوء على المشهد الأساسى : الدور الأرضى لڤيلا شبه مستقلة. لو وقفت على البلاط الأحمر الهادئ للصالة الأمامية ، معطيا ظهرك للباب الأمامى الخشبى الثقيل ، فيمكنك أن تتجه يمينا إلى غرفة جلوس واسعة، بأثاث مريح غير مميز ، تحتوى على راديو ضخم يقف وحيدا على أرضية من الباركيه ، أو يسارا إلى غرفة الطعام التى ترك نصفها فارغا من أجل مطبخ إبراهيم العملى ، أو تتحرك إلى الأمام إلى غرفة صغيرة مظلمة للطوارئ ، تحتوى على مكتب ومقعد هزاز وماكينة حياكة . هناك سلم يقود إلى الدور العلوى ، وشرفة عريضة مبلطة بالبلاط الأحمر أيضا وتظللها النباتات المتسلقة ، ولها مدخل من غرفة الجلوس ، كما أنها تدور حول الڤيلا من أحد جوانبها ونصف الجانب الثانى . خلف هذه الشرفة هناك جزء من حديقة معتنى بها تحتوى على أنواع عديدة من الزهور والورود ، ومقسمة بممرات من التربة الحمراء . أصوات الباعة الجائلون يبيعون الماء ، أو الشاى ، أو الفول ، أو الترمس، أو الزبادى ، أو الذرة المشوى ، أو الكوكاكولا ، التى يسمونها قازوزة ، تختلط بضجيج المرور والحياة فى الشارع ، وصوت الموسيقى المصرية تسرى من نافذة مفتوحة لأحد الجيران ، وقعقعة الترام المار فى مواعيده . كل هذه الأصوات تعلو على همهمات وطنين فترة ما بعد الظهر فى المناطق الحارة . كريستوفر يتأمل كل هذا للحظات قبل أن يعود للحديث.)

بيت المهندس على ناصية شارع طيبة ، على مسافة ليست بعيدة من محطة ترام كليوباترا في الاسكندرية .

والزمن الذى قضيته فى الإسكندرية توازى مع تغيرات جوهرية ، وكان نقطة تحول فى تاريخ البلاد : الفترة من قيام الثورة المصرية حتى كارثة السويس و ...

(يتوقف حين يلاحظ فجأة قدوم شخص مصرى ، فى حوالى الخمسين ، يرتدى جلابية وطربوش وصندل تبرز منه أصابع قدميه إلى أعلى ، من بين مقاعد المتفرجين . هذا الشخص يقف بجوار أحد المشاهدين ويخرج بيضة من أذن المتفرج . تبدو عليه السعادة ، ثم يخفى البيضة فى أكمامه أو فى جيبه ، ويقف أمام متفرج ثان . الحيلة هذه المرة أكثر تعقيدا : يدخل الرجل يده فى الجيب الداخلى للمتفرج ويخرج ثلاثة أو أربعة كتاكيت . كريستوفر يتفرج على ما يحدث وهو مندهش ، وبينما يتحرك الساحر المسكين بطريقة سير غريبة ، مهتزة ، متدحرجة ، نحو غرفة طعام الفيلا التى تتناثر فيها الأكواب النحاسية والزهور الورقية على أحد أركان المائدة ، التى تئن تحت وطأة أطعمة حفل أطفال ، يقوم كريستوفر بانهاء جملته.)

التى سيطر عليها عبقرى المكان ، خادم المهندس ، الذى عمل فى البيت لمدة عشرين عاما ، المهيب إبراهيم .فى الخامس والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ ، وبعد مصادمات قوية فى منطقة القناة ، قام الجيش البريطانى بمذبحة جماعية لما يقرب من خمسين شرطى فى الاسماعيلية . وأعلنت حالة الطوارئ فى القاهرة والإسكندرية . وفى اليوم التالى بدأ الانتقام المصرى فى شكل أعمال شغب ومظاهرات معادية للبريطانيين ، فى يوم عرف باسم "السبت الاسود" . لكن هذا اليوم لم يكن "السبت الأسود" بالنسبة لى ، بل كان عيد ميلادى . (خلال ما سبق ، يكون كريس قد

عاد للظهور ، مرتديا زي القرصان ، مغطيا عينه برقعة سوداء . كما تظهر معه أمه ، وهي أمرأة في نهاية الثلاثينات ، سوداء الشعر ، مصحوبة بأربعة أو خمسة ضيوف من الأطفال الذين يرتدون ملابس تنكرية: مثل زي "روبين هود" أو "الثور الجالس" أو "لورد نلسون" أو "روب روي" ، وجميعهم يتفرجون على إبراهيم وهو يؤدي الحيل التقليدية للحاوي the gali- gali man ، أو الحيل السحرية بالأكواب النحاسية، والكور البيضاء ، والكتاكيت الحية والبيض ، وهو يؤديها بحماس للمتفرجين المعجبين به.)

في ظل هذه الظروف ، لم يحضر إلا عدد قليل من الأطفال . فصديقي الامريكي "والتر"، الذي كان يرتدي رباط العنق دائماً ، والذي كان أبوه يعمل في شركة شل ، لم يسمح له بالخروج . وكان هذا هو نفس الموقف مع صديقي "إيرو" الذي كان والده قنصل فنلندا . كما أن ظروفا طارئة أدت إلى استدعاء والدي إلى مكتبه ، وهذا لا يحدث عادة أيام السبت. وأنا لا أظن أنا أحدا كان سيأتي ، ما لم تكن مساكن الشركة في شارع طيبة.

الشركة كانت للمواصلات السلكية واللاسلكية ، وقد تم الآن خصخصتها على أي حال ، ولكنها كانت واحدة من تلك الشركات الإمبراطورية القديمة التي كانت تفضل أن تدفع رواتب موظفيها في صورة منازل وسيارات وخدم واشتراكات في نادي سبورتنج ، بدلا من الأموال العينية . وأمي أيضا أتت من أسرة تعمل في التليفون والتلغراف ، ولهذا فقد تعودت على فكرة وجود أبناء عمومتي في" شرق الأردن" وأعمامي في "ليما" أو "بينانج" ، وأجدادي في جزر البحر الكاريبي ، كما أننا قبلنا حقيقة إمكانية الانتقال اعتباطيا إلى أي ميناء أو جزيرة في العالم ، أي في أي مكان تصل فيه الأسلاك إلى

الشاطئ ، وحيث الناس مازالوا سادرين فى انجليزتهم .

(حين ينتهى من حديثه ، يكون إبراهيم قد أنهى آخر حيلة : تحويل باقة من الزهور الورقية إلى سلسلة من الأعلام ، ثم تحويل الأعلام إلى علم واحد : راية الاتحاد البريطانية . حين يتحدث إبراهيم فهو يتحدث باللكنة الفضية المحببة للغة العربية .)

إبراهيم : احكمى يا بريطانيا !

(ينحنى لتصفيق الأطفال ، ثم يرفع ذراعه طلبا للسكوت) شكرا لكم، والآن يمكنكم أن تذهبوا وتلعبوا لعدة دقائق ، فأنا أود أن أضع اللمسات الأخيرة على "الكحكة".

روب روى : استغماية !

كريس : حسنا ، سوف أختبئ أنا .

الأم : فى الحديقة ، لو سمحتم .

كريس : عد إلى عشرين .

(يعدو من الغرفة خارجا من المنزل . حين يفتح الباب الخارجى ، كما هو الحال الآن ، تبقى ستارة شبكية سميكة على الباب للحماية من الحشرات وضوء الشمس المباشر . يدلف كريس من هذا الستارسرعة تدل على تعوده ، ويختفى . يبدأ الأطفال فى العد حتى رقم عشرين . يستقر إبراهيم فى مطبخه ، ويبدأ فى وضع اللمسات النهائية على كحكة إسفنجية محلاة ، ويغرس فيها ست أصابع ألعاب نارية بدلا من الشموع. والدة كريستوفر تظل ساكنة للحظة ثم تتحرك عبر الصالة ، حين يتفرق الأطفال ، لتصل إلى غرفه الجلوس ، وتخرج سيجارة من صندوق

وتشعلها بولاعة مكتب . فى موقع ما من كل هذا ، يستأنف كريستوفر حديثه .)

كريستوفر: كانت الإسكندرية مركزاً لحياة أبى . فقد كانت أول محطة له فى العشرينيات ، وفيها فقد بعض زملاءه فى وباء التيفود ، الذى نجا هو منه، رغم إصابته المدمرة فى جدار المعدة . ثم عاد إليها ، وقد تزوج ، فى الثلاثينيات .

فى وسط الأجازة التى كان يحصل عليها كل ثلاث شهور ، والتى يقضيها فى انجلترا ، تأتى الزيارة المخيفة للمركز الرئيسى "ميركورى هاوس" فى "طريق ثيوبالدز" حيث يتسلم الموظفون قرار التسكين الوظيفى. وبالرغم من أن أبى لم يكن متديناً إلا أنه دعى قائلا – يارب، أرجوك ألا يأتى التسكين فى الخليج الفارسى – قبل أن ينطلق إلى هناك مرتديا حلته الرمادية الخفيفة . ولقد فرح أبى حين أعيد مرة أخرى إلى الإسكندرية ، كمهندس هذه المرة . لقد كان هذا بالضبط ما يأمل فيه .

(خلال هذا الحديث ، كان البحث عن كريس دائرا بلا جدوى فى أرجاء المنزل ، والأطفال يسألون بعضهم عن مكان الاختفاء من وقت لآخر)

لقد توافقت إسكندرية أبى ، مع إسكندريات إى. إم . فورستر ، وكفافيس ، ولورانس داريل : لكنه توافق فى الزمان والمكان فقط . مدينته كانت مختلفة للغاية . لدى صورة فوتوغرافية لأبى ، التقطت عام ١٩٣٦ ، لكن الزمن ترك عليها أثاره : وفيها يرتدى لباس استحمام قديم الطراز، ويحلق أفقيا فى الهواء فوق حمام سباحة مختفى، وهو فى طريقه – كطائر السنونو– للغوص . ووراءه منصة القفز العالية الكالحة ، وفى الخلفية تبدو العمارات المحيطة بنادى سبورتنج فى

سموحة . كان أبى فى وضع طائر ، وأنا أحتفظ بها لكى تذكرنى بكل الفروق بيننا .

(يتوقف ، مفكرا للحظة ، بينما ينادى الأطفال على كريس)

روبين هود : كريس ؟

نلسون : أين أنت ؟

الثور الجالس : لقد يئسنا .

روب روى : لقد فزت أنت .

(لا استجابة . كريستوفر ينظر إلى أعلى ، فتعكس نظارته الضوء الساقط عليها)

كريستوفر : لقد ترك لى أبى عددا من الموروثات : شكل وجهى ، وطبيعة متفائلة ، وحساسية ضد الطماطم ، لكننى عرفت فى وقت مبكر أن هنا شئ خطأ فىّ . فعلى سبيل المثال ، أنا من أسرة من الرياضيين ، لكننى كنت الوحيد الذى لا يستطيع أن يرى الحروف الكبيرة . ومن ناحية أخرى ، فقد كان نظر أبى ممتازا.

(كريستوفر يخلع نظارته ، ويتركها جانبا ، ويتحول إلى الأب ، مسرعاً فى طريقه نحو المنزل ، ثم يقول "مرحباً" ذاهلة للأطفال . يخطو إلى داخل المنزل ، ويطل برأسه صوب باب غرفة الجلوس)

الأب : لينوكس منتظر فى الخارج لكى يعيد الأطفال إلى منازلهم .

الأم : ماذا ؟

الأب : للأسف ، فقد انفتحت أبواب الجحيم . أين كريستوفر ؟

الأم : يلعب مع الأطفال فى الحديقة ، ماذا تعنى "انفتحت أبواب الجحيم" ؟

الأب : شغب مرعب فى القاهرة . فوضى ، حرائق ، سلب ونهب. بعض الناس قتلوا. لقد أحرقوا المركز الرئيسى لبنك باركليز ، وشركة BOAC ، وبعض دور السينما ، ونادى الفروسية ، وفندق شبرد .

الأم : فندق شبرد ؟

الأب : ليست هناك متاعب هنا بعد. لكن من يدرى . ساعدينى فى جمعهم لإعادتهم لبيوتهم .

(الأم تنضم إليه ، وينزلان إلى الحديقة ، حيث يدور الأطفال فيها بلا هدف ، وقد أصابهم الملل لفشلهم فى العثور على كريس . الأم تتحدث إلى "روب روى".)

الأم : والدك فى السيارة فى الخارج . سوف يقوم بتوصيلكم جميعا إلى منازلكم.

الأب : كريستوفر ؟

الأم : ادخل إذن وخذ هداياك للمنزل .

الأب : ربما يعلن حظر التجول ، ولهذا يتحتم عليكم أن تكونوا فى بيوتكم قبل حلول الظلام .

(لا أحد يستمع إليه لأن الأطفال يسرعون إلى داخل البيت للحصول على هداياهم . يلتفت وينظر حواليه.) كريستوفر ؟

(يبدأ فى العودة إلى داخل البيت . الهدايا توزع فى البهو ، وفى نفس الوقت فإن إبراهيم ، الذى يسئ فهم سبب حالة الصخب ، يقوم بإشعال الالعاب النارية ثم يصل إلى البهو حاملا الكحكة ، مترنما بـ "عيد ميلاد سعيد".

الأم : ليس الآن يا إبراهيم .

ابراهيم : أنا آسف يا سيدتى [1] .

(يعود إلى مطبخه حيث يطفئ الألعاب النارية بماء الصنبور ، واحداً بعد الآخر ، بصعوبة . فى نفس الوقت تقوم الأم بوداع الأطفال ، بينما يقودهم الأب خارج المنزل ، بعد أن يتوقف مرة أخيرة للنداء على كريس.)

الأب : كريستوفر ؟

(تدخل الأم إلى المطبخ)

الأم : عفواً لما حدث ، فكريس لم يكن موجودا.

ابراهيم : هذا خطئ يا سيدتى .

الأم : هل يمكنك إعادة إشعالهم ؟

ابراهيم : بالطبع .

(الأب يعود وينضم إليهما)

---

(١) يستخدم ابراهيم كلمة memsahib وتعنى سيدة بيضاء ، وبخاصة زوجة أى موظف بريطانى فى الهند . (المترجم).

الأب : أعتقد أنه من الأفضل أن تعود إلى بيتك يا إبراهيم .

ابراهيم : لا ، لا يا سيدى . لماذا ؟

الأب : يبدو أن هناك بعض المتاعب .

ابراهيم : فى القاهرة ، هؤلاء الناس كلهم فى القاهرة .

الأب : ربما يعلن حظر التجول ...

ابراهيم : فى هذا الحال ، وبالرغم من أن الوقت مبكر ، لكن الظروف تحتم ، أن أجهز لك كأس الويسكى بالصودا الآن .

الأب : معقول .

ابراهيم : وسيدتى ؟

الأم : سيفيدنى كأس أنا أيضا .

الأب : أين كريستوفر ؟

ابراهيم : سوف نعثر عليه فى المكان الخاص به .

الأب : وأين يكون هذا المكان ؟

ابراهيم : سوف ابحث عن كريس . لكن الأهم فالمهم ، أليس كذلك ؟ سوف أحضر مشروبكما ، أولا .

الأب : شكراً .

(وحده ، يحضر ابراهيم سيفون الصودا ، ووعاء الثلج من الثلاجة ويضعهما على مائدة ، ويحضر الويسكى - بلاك آند وايت - وكأسين

من الصيوان. فى نفس الوقت، يعبر الأب والأم المنزل إلى الشرفة.)

الأم : أعتقد أنه من الأفضل ألا نذهب إلى سينما "ريالتو" غدا بعد الظهر..

الأب : أوه ، لا أدرى ...

الأم : حسنا ، لن نذهب إذا ما كانوا يحرقون دور السينما.

الأب : سوف نرى ، أنا شخصيا أعتقد أن الموقف كله سيتفجر.

(يخرج زجاجة ويسكى صغيرة من جيب قميصه ، ويخرج سيجارة سميكة بلا فلتر ويقرعها على العلبة الصفيح ثم يشعلها بالقداحة الفضية . فى نفس الوقت يكون إبراهيم قد أعد المشروبين - بكميات كبيرة من الويسكى والثلج وبعض الصودا - ويضع الكأسين على صينية. كريس ، فى زى القرصان ، يظهر وحيداً ومذهولاً، ينظر فى أنحاء الحديقة تعيسا ، بينما والداه لا يستطيعان رؤيته.)

كريس : أين أنتم ؟ هل يئستم ؟

(إبراهيم ، عائدا من تقديم المشروبات ، يلمح كريس ، فيتجه عبر الباب الأمامى إلى الحديقة ثم يتوقف قلقا على حال كريس البائس .) أين ذهبوا ؟

ابراهيم : غلطتى أنا ، لقد أرتكبت خطأ حين كنت أقوم بإحدى حيلى... الحيلة التى أقول فيها - جلا - جلا - جلا ، فيختفون جميعا ، هوف .

(يأخذ كريس من يده ويبدأ فى العودة إلى داخل المنزل)

كريس : هل فعلت هذا فعلا ؟

ابراهيم : لا ، انه الأب ، أب الولد ذو التنورة ، حضر لكى يأخذهم جميعاً[1] . لم يستطيعوا العثور عليك . كنت أعرف أنك فى مكانك الخاص ، لكننى لن أخبرهم . تعالى ، سوف نحضر لك كحكتك . **(يكونان قد وصلا إلى المطبخ . إبراهيم يحاول أن يشعل واحداً من أصابع الألعاب النارية ، دون توفيق.)**

كريس : هل ستعلمنى كيف تقوم بتنفيذ حيلك؟

(إبراهيم يحاول أن يشعل إصبعا آخر دون جدوى ، ولهذا يهمس ببعض العبارات البذئية باللغة العربية)

هل ستعلمنى ؟ حيلة واحدة فقط؟

(ابراهيم يطفئ عود الثقاب ويركز انتباهه على كريس)

ابراهيم : حيلة واحدة فقط، وأحتاج فيها إلى مساعد .

كريس : ما هى ؟

ابراهيم : هل ترى زجاجة الويسكى هذه ، عليك أن تنظر وترى مقدار ارتفاع الويسكى فى الزجاجة ، قياسا بالملصق عليها. تذكر جيدا الارتفاع ، اتفقنا ؟ **(أثناء حديثه ، يقوم إبراهيم بإخراج زجاجة "جين" صغيرة خضراء، بلا سدادة ، من الثلاجة ، كما يحضر كأسا من الصيوان)** اتفقنا؟ هل تتذكر الارتفاع ؟

---

(١) فى الأصل ، حديث إبراهيم متقطع ، لا يخضع لمقتضيات الإعراب إلى حد ما ، وقد حاولت الالتزام بتوصيل المعنى والحفاظ على الأصل قدر الامكان. (المترجم).

كريس : نعم .

(ابراهيم يأخذ زجاجة الويسكى ويصب لنفسه جرعة كبيرة ، يزيدها بأقل قدر من الصودا .)

ابراهيم : والأن تأخذ زجاجة الماء المغلى وتصبه فى زجاجة الويسكى حتى يصل الارتفاع إلى الارتفاع السابق .

كريس : ليست هذه حيلة .

ابراهيم : نعم . أفضل حيلى .

(كريس ينظر إليه برهة وهو متردد ، ثم يقرر أمره ويلتقط زجاجة الـ "چين" ويصب الماء فى زجاجة الويسكى. فى نفس الوقت يقوم إبراهيم بالبحث فى أنحاء المطبخ ويعود بإصبع ألعاب نارية جديد.) هذا رائع ، أنت ساحر عظيم . وتلك مساعدة عظيمة لى ، لاننى كما تعرف مثل الچورج واشنطن لا أستطيع أن أقول كذبة واحدة ، إلا إذا كان هذا ضرورياً، ولهذا فحين تقول سيدتى" إبراهيم : هل تزيد الويسكى بالماء؟" أستطيع أن أقول لا .

(يشعل إصبع الألعاب النارية ويغرسه فى الكعكة بزهو . كريس يعطيه زجاجة الويسكى فيقوم بوضعها مع المشروب الذى صبه فى الصيوان . كريس ينظر إلى الكعكة دون رضا.)

كريس : ألا يجب أن يكون هناك ستة ؟

إبراهيم : يجب . لكن لا بأس بواحد فقط ، ألا تظن ذلك ؟ **(يحضر سكينا ، وثلاث شوكات ، وثلاث أطباق ، وبعض المناديل الورقية .)** احمل أنت الكعكة. **(كريس يحمل الكعكة ، بينما يقود إبراهيم الطريق إلى غرفة**

الجلوس بينما يلفت نظر والدى ابراهيم بإيمائة ، ثم يقود غناءهم لأغنية "عيد ميلاد سعيد" بشكل حماسى.)

الأم : والآن ، يمكنك أن تطفئ الـ .. أوه . اقطع الكحكة وتمنى أمينة .

(يصفقون بينما يقوم كريس بقطع الكحكة.)

شكلها لطيف ، هل ترغب فى قطعة يا إبراهيم ؟

ابراهيم : فيما بعد يا سيدتى . سوف أنظف غرفة الطعام أولا .

(يتركهم بمجرد أن تبدأ الأم فى توزيع قطع الكحك . يبقى إبراهيم فى غرفة الطعام الوقت الكافى لكى يأخذ قطعتين من السجق ، ثم يتجه إلى المطبخ . وهناك يفتح علبة سجائر مسطحة مصرية، ويشعل واحدة ، ويشد أنفاس السيجارة بعظمة بينما يحضر ما أخفاه فى الصوان من الويسكى.)

تخفت الاضاءة على غرفة الجلوس بينما يخرج صندوق دواء من الورق المقوى من جيب جلبابه. يخرج حبتين ويعيد العلبة ، ويجلس إلى مائدة المطبخ ويبتلعهما مع جرعة من الويسكى . ثم يأخذ نفسا آخر من السيجارة ويمد يده إلى إصبع السجق بينما تخفت الإضاءة فى المطبخ حتى الاظلام .

ثلاثة

كريستوفر يظهر مرة أخرى ، معزولا فى بقعة من الضوء.

كريستوفر : مكانى الخاص ، إذا ما كنتم تتعجبون ،كان تجويفا لا يمكن التوصل

إليه، مستور بشجرة "صريمة الجدى" ، بين شجرة الأوكالبتوس الضخمة ، بل أضخم أشجار الحديقة ، وحائط الطوب الأحمر الذى يحد جهتين من جهات المبنى . كانت الحديقة والشارع على مستويين مختلفين ، وفى تلك البقعة كان الحائط منخفضا من ناحيتى بحيث كنت أتمكن من مراقبة حركة الحياة في الشارع على مسافة عشرة أقدام تحتى . عبر الشارع كان هناك دكان صغير كالكشك يعرض حلواى المفضلة : باستيليا صغيرة ، داكنة الخضرة ، صلبة ، هلامية الشكل ، بطعم الأوكالبتوس . كان على فقط أن أنادى عبر الشارع فيحضر إلى البائع شنطة ورقية مليئة ويرسلها لى عبر شئ يشبه هلب القارب . لم تكن تلك طريقة غير تقليدية للتسوق ، فالدور العلوى فى العمارة المواجهة كانت تسكنه امرأة يونانية ضخمة تسمى "بيلا" ، وكانت تقوم فى التاسعة من صباح كل يوم ، فى انتظام المؤذن ، بالجعير بقائمة مشترواتها ، ثم تنزل سلة يتجمع حولها باعة الدكاكين ، حاملين ما يخصهم من البضائع . وفى بعض الأحيان كانت تنزل كلبها الـ "يوركشاير" الصغير ، فتضيف عثته إلى ركام الشارع . كنت دائماً ما أراقبه حزينا وهو يقفز عائدا إلى السلة ، لأن ظروف حياتنا لم تكن تسمح لنا طبعا بالاحتفاظ بالحيوانات الأليفة . وهذا يعيدنى مرة أخرى إلى السبب الأول فى جاذبية مكانى الخاص . الحرباء

من المفترض عدم صدق القول بأن الحرباء يغير لونه وفقا لبيئته : فمن الواضح أن العوامل الحاكمة فى هذا التغير هى درجة الإضاءة وحال الحرباء العاطفية . كل ما أستطيع قوله هو أن حربائى اتخذ اللون الأبيض الرمادى لبيئته ، لون لحاء شجرة الأوكالبتوس . وربما كان لونه لبنياً أو أخضرا شاحبا لعدم تعرضه للشمس ، لكنه كان يتحول إلى لون يقترب من الأخضر حين كان يتسلل بين أوراق النبات ، أما الاقتراب من الحائط فكان يكسيه بحمرة خفيفة كأنها حمرة الإحراج . حين كنت

أحضر، كان يتعلق فى فرع ، واضعا ثلاثة أصابع فى ناحية ، واثنين على الناحية الأخرى ، متأرجحا للأمام والخلف ، مظهراً خوفه أو عدوانيته (كانت أسنانه الصغيرة قبيحة الشكل)، لكننى كنت أفضل التفكير فى هذا السلوك وكأنه نوع من التحية الكهنوتية.

كان الحرباء وحيدا ، يبيت شتوياً ، لكننى فى ذلك اليوم ، السبت الأسود ، حين ذهبت هناك للاختباء، كان هو هناك ، مستيقظا من نومه بسبب باعث قوى . بدا عليه الضعف قليلا ، كان على درجة من الأثيرية. لكننى انتظرت ، كما انتظر هو ، ثم هبطت ذبابة على الحائط فجأة على مسافة قدمين . دارت عينه المستقلة على محورها وكأنها مدفع مضاد للطائرات ، وامتد لسانه الوردى اللون العجيب ، بنهايته اللزجة الشبيهة بالإسفين ، وسقط على فريسته بنجاح . بنجو . فوز للجميع .

(فى منطقة إضاءة مستقلة ، يظهر كريس فى زى مدرسى، يتكون من شورت رمادى وجاكيت بليزر بقصاصة زرقاء، وقلنسوة زرقاء ، وجوارب رمادية ، وصندل . إنه يمسك بيد أمه ، ويحمل حقيبة مدرسية.) نعم ، لقد التحقت بأكثر مدارس الإسكندرية خصوصية : كلية ڤيكتوريا، التى التحق أحد خريجيها المحدثين بـ "هارو" و"ساندهيرست" والذى توج فيما بعد ملكا للأردن : الملك حسين . كل صباح كانت أمى تأخذنى فى الترام إلى نهاية الخط التى كانت تسمى "محطة ڤيكتوريا" ، كما كانت تعيدنى بعد الظهر ..

(كريس يتخلص من يد أمه ويسرع بالانضمام إلى أربعة من الصبية المصريين فى زى كلية ڤيكتوريا . تراقبه أمه للحظة ثم تستدير وتختفى. لا تبدو السعادة على الصبية لمرأى كريس ، وهو يحس بذلك ولهذا يحاول الابتعاد سريعاً ، لكن بعد فوات الأوان . فجأة يجد نفسه

محاصراً : واحد من الصبية يخبط قلنسوته فتقع ، بينما ينحنى صبى آخر ويحفن حفنة من الرمال ويفركها فى وجه كريس .)

حتى فى تلك الأماكن الراقية ، كانت مذبحة الشرطة فى الإسماعيلية قد تركت أثرها.

(يقوم الصبية الأن بدفع كريس من واحد للآخر ، بطريقة تزداد خشونة ، حتى يسقط فى النهاية على الأرض ويختفى تحت وابل من اللكمات والركلات . هناك لحظة صمت أثناء تراجع الصبية ، لكن واحدا منهم يتقدم صوبه ببطء ، جامعا قدرا من اللعاب الذى يتركه يسيل على كريس الساكن ، قبل أن يتحدث بهدوء قاتل .)

الصبى : إنجليزى قذر .

(تطفأ الإضاءة على الصبية ، بينما يتأمل كريستوفر الموقف لبرهة.)

كريستوفر : كان ذلك مجرد تعبير أكثر عنفاً من أحد أقوال كولونيل ناصر الطنانة التى كان يرددها كثيرا: "ياربنا القادر ، فلتسقط كارثة على البريطانيين" [1] ، وربما كان لقوله ما يبرره لأن جندياً بريطانيا ضربه فى مقدمة رأسه خلال إحدى المظاهرات . كانت تلك حادثة فريدة ، وما كنت أعتقد أننى سأشير إليها ما لم تكن أمى قد رأت الكدمات على خدى والسجحات على ركبتى ، وما لم تعرف كيف تضعف إصرارى على الإنكار . وكانت النتيجة مؤتمرا عائليا .

---

(١) الترجمة إلى العامية قد تحول الدعاء إلى مايشبه هتافنا ونحن أطفال: "يا عزيز ياعزيز - كبة تاخد الانجليز" ، ولكنها بقيت فى ذاكرة هامبتون وكأنها إحدى مقولات ناصر ! (المترجم).

أربعة

كريستوفر ، وقد خلع نظارته وتحول مرة أخرى إلى "الأب" ، يجلس مع كريس ، الذى مازال يرتدى زيه المدرسى ، والأم ، وتبدو عليهم إمارات الجدية . ابراهيم فى المطبخ ينتف ريش ما يقرب من ستة طيور سمان صغيرة ، وطربوشه ومذبته فى متناول يده .

كريس : أرجوك ألا تفعل هذا . لاداعى لذلك .سوف يكون كل شئ على ما يرام.

الأب : إننى سأكتفى بكتابة خطاب تقوم أمك بتسليمه حين تأخذك إلى المدرسة غدا . لن يكون لك أى شأن بذلك .

كريس : لا أريدك أن تفعل هذا .

الأم : سوف يكون الأمر مشابها لما فعله "دادى" حين كتب لكبيرة الراهبات فى عدن ، هل تذكر ؟

كريس : لا .

الأب : نعم ، لقد كتبت لها بشأن تلك الراهبة .

كريس : الراهبة ذات الشارب ؟

الأب : نعم ، هذا صحيح ، تلك الراهبة التى قالت إن عليك أن تتوقف عن الكتابة بيدك اليسرى لأنها يد الشيطان. لقد كتبت إليها وقلت إنك إذا كنت أعسرا فأنت أعسر ، وهذا كل ما فى الموضوع . وبعد الخطاب لم تعد هناك أى متاعب ، ألا تذكر ذلك ؟

(يسود الصمت ، بينما يفكر كريس فى الموضوع)

كريس : نعم ، ولكن هذا شئ مختلف .

الأب : لا أفهم لماذا هو مختلف . إنك تتعرض للإهانة ، وأنا لا أحب لك أن تتعرض للإهانة ، وسوف أطلب من الناظر وضع حد لذلك ، فما الاختلاف إذن ؟

كريس : لاننى فى عدن تعرضت للإهانة على يدى المدرسة ، أما هنا فقد تعرضت لها على أيدى الصبية .

الأم : لا أرى فى ذلك أى اختلاف .

(لكن الأب يفكر فى الأمر للحظة ، يقوم خلالها إبراهيم باصطياد بعض الذباب بالمذبة بنجاح.)

كريس : لا أريد أن أكون نماما على زملائى .

الأب : حسنا ، أنا أتفهم موقفك .

كريس : وعلى أى حال ، لماذا سمّانى الصبية إنجليزى قذر؟

(يستغرق الأب بعض الوقت للعثور على إجابة.)

الأب : أوه ، سياسه كالعادة .

كريس : ماذا يعنى هذا ؟

الأب : إنهم يثيرون المتاعب ضدنا فى منطقة القناة.

كريس : لماذا ؟

الأب : انهم يريدون استعادتها .

كريس : ولماذا لا نعطيها لهم ؟

الأب : سوف نفعل هذا فى غضون ثلاثة أو أربعة أعوام .

كريس : ولماذ ليس الآن ؟

الأب : حسنا ، اتفاقية تعنى اتفاقية .

كريس : لا تكتب الخطاب .

(صمت)

الأب : سوف نرى .

كريس : سوف أحضر مشروبا .

(يغادر الغرفة ، لكنه يتردد خارج الباب فى البهو ، لكى يتنصت.)

الأم : أعتقد أنك يجب أن تكتب الخطاب .

الأب : لست متأكدا من أن فكرة إخراجه من تلك المدرسة ليست فكرة صائبة تماما. لم أفكر فى الأمر كثيرا ، وهو على بعد أميال .

الأم : هذا تصرف متطرف ، أليس كذلك ؟

الأب : أقول لك الحقيقة ، أنا لست متأكدا إطلاقا إذا ما كان سيسمح لكم بالبقاء هنا لفترة طويلة بعد ذلك .

الأم : ماذا تعنى ؟

الأب : لقد بدأوا يتحدثون عن ترحيل النسوة والأطفال .

الأم : من الذى يتحدث ؟

الأب : فى الصحف . فى الادارة .

(صمت . الأم تفكر فى الموضوع للحظات.)

الأم : مازلت أعتقد أن عليك أن تكتب الخطاب .

الأب : سوف أفكر فى الموضوع .

(يلتقط الصحيفة . كريس يخرج من الصالة إلى مطبخ إبراهيم على أطراف أصابعه.)

كريس : مرحبا . أريد كوكاكولا .

(يبدأ إبراهيم فى الوقوف ، رافعا يديه المخضبتين بالدماء.)

سوف أحضرها أنا .

(يخرج زجاجة من الثلاجة ، ويعثر على فتّاحة زجاجات ، ويفتح الغطاء.)

ابراهيم : ابحث عن الجائزة .

(كريس ينزع السدادة داخل غطاء الزجاجة وينظر داخل الغطاء.)

كريس : لاشئ .

(ابراهيم يلعن باللغة العربية بصوت خافت . كريس يجلس على أحد الكراسى ويبدأ فى شرب زجاجة الكوكاكولا . فى نفس الوقت ، تقوم الأم بإخراج شلة من الصوف القرنفلى اللون.)

الأم : هل لديك مانع ؟

(يضع الأب الصحيفة جانبا ويمد ذراعيه للإمساك بالصوف الذى تبدأ الأم بلفة فى شكل كرة . يمسك إبراهيم بطائر سمان آخر ، ويتنهد بشكل مبالغ فيه .)

إبراهيم : حزينة ، قصة السمان .

كريس : لماذا ؟

إبراهيم : إنه يأتى عبر طريق طويل من أوروبا ، من إيطاليا وهى فى مكان ما فى أوروبا ، عبر البحر ، وهو طريق طويل على هذا الطائر الصغير ، حتى يصل إلى الإسكندرية . ساعتها يكون متعبا ، يطير على ارتفاع منخفض، وكل ما نفعله هو أن نضع الشباك له ، وبإمكانك أن ترى الشباك على كل الشواطئ فى هذا الوقت من السنة : يصطدم السمان بالشباك، "طاخ"، ويسقط على الأرض . ثم يقوم الصيادون بالتقاطه ووضعه فى الحقيبة .

كريس : هذه قسوة ، يجب عليهم أن يصطادوه قبل أن يبدأ الرحلة .

إبراهيم : لا ، هذا شئ يشبه ما يحدث في الحياة . رحلة طويلة ، نضال كبير ، ثم "طاخ" . ثم لو تم اصطياده قبل الرحلة ، فسوف يأكله الايطاليون .

كريس : هذا ليس عدلا ، ولا أعتقد أننا يجب أن نأكل السمان .

إبراهيم : ولكن لحمه شهى . **(يحمل بين يديه سمان جاهز للحظة مبدياً إعجابه ، ثم يتغير تعبير وجهه ويلتفت إلى كريس .)** أمك قالت لى عن هؤلاء الصبية فى المدرسة .

كريس : شئ تافه .

إبراهيم : ماذا تعنى ، إنهم يبصقون عليك ، وركبتك فى الرباط.

كريس : كل شئ على ما يرام .

إبراهيم : أنت علي حق ، وهذا هو السلوك الصحيح . لا تلمسهم ، فكرامتك لا تسمح لك بالانتقام منهم . هذا تصرف صحيح جدا. هذا سلوك لم يكن موجها ضدك ، فلا تأخذ الموضوع بشكل شخصى .

كريس : هذا ما ظننته .

إبراهيم : سوف أذهب معك ومع سيدتى إلى المدرسة غداً .

كريس : ليس عليك أن تفعل هذا .

إبراهيم : سوف التزم الصمت ، ولن أفعل شيئا . كم كان عددهم ؟

كريس : أربعة .

إبراهيم : أنت ترينى الأربعة ، بهدوء . ثم أكسر رقابهم .

كريس : لا ، هذا ...

إبراهيم : أنت تعرفنى ، فلدى عشرة أطفال ، وأنا لست خشنا معهم . لكن هؤلاء...

(مرة أخرى يكرر ابراهيم قسمه مرات بالعربية . وفى غرفة الجلوس قامت الأم بلف كرة الصوف ثم تبدأ الآن فى الحبك بهدوء .)

الأب : ألبرت اتصل بى تليفونيا فى المكتب ودعانا إلى الغداء معهم يوم الأحد.

الأم : يالطيف .

(يقوم الأب باشعال سيجارة ، ويخرج إلى الشرفة لينظر إلى سماء الغسق)

كريس : بأمانة ، كل شئ على مايرام .

إبراهيم : لا ، سوف أكسر رقابهم .

خمسة

(كريستوفر فى بقعة ضوء) .

كريستوفر: لم يقم إبراهيم بكسر رقابهم بالطبع ، وعلى أية حال فقد تحققت نبوءة أبى فى غضون أسابيع قليلة : " وعلى الرعايا البريطانيين الذين لاتستدعى الضرورة بقاءهم فى مصر أن يغادروا البلاد ، بناء على نصيحة وزارة الخارجية " . وهكذا عدت أنا وأمى على ظهر إحدى السفن إلى إنجلترا ، التى ظهر أنها بلد غريب ، ممطر ، منغمس فى طقوس غير مفهومة . وأرسلت إلى مدرسة إبتدائية ليست بعيدة عن منزل أجدادى فى " بليموث " ، وهناك كنا نستمع إلى الراديو كثيراً ، كبديل للدروس ، وقد اكتشفت اننى متقدم أكاديمياً عن أقرانى بعام على الأقل ، وهى حقيقة قمت غريزياً بإخفائها . باختصار ، لقد اكتشفت أن الدهماء يبدأون من " دوڤر " .

(كريس ، مرتدياً بنطلوناً وقميصاً قصير الأكمام ، يحوم بتلقائية حول مجموعة من الأولاد الذين يقذفون بكروت مصنوعة من علب السجائر . فى كثير من المرات، ووفقاً لقواعد صعبة الفهم ، يقوم واحد من الصبية

باطلاق صرخة انتصار ويجمع كومة الكروت لنفسه . فى التو ، يقوم واحد من الأولاد - ادوارد - بالالتفات بود ناحية كريس .)

ادوارد : لماذا ذراعاك مشعرتان هكذا ؟

كريس : ماذا ؟

ادوارد : ذراعاك ، إنهما مملوءتان بالشعر ، أليس كذلك ؟ انظروا إلى ذراعية .

(ينجح إدوارد فى لفت أنظار الأولاد الذين يتفحصون ذراعى كريس : تصدر عن واحد من الأولاد صيحة تنم عن الاشمئزاز .)

كريس : أظن أن هذا مرتبط بالبقاء فى الشمس كثيراً .

ادوارد : نحن لدينا شمس هنا .

كريس : نعم ، ولكن ...

ادوارد : لاشأن لهذا بالشمس . ربما يعود السبب إلى أنه فى أفريقيا ، أو أيا ما كان المكان ، فإنكم تقضون وقتا طويلاً فى أعالى الأشجار .

(ضحكات من الأولاد تحمل معنى موافقتهم)

هل أنت متأكد إنك إنجليزى ؟

كريس : نعم ، بالطبع أنا إنجليزى .

إدوارد : كيف لاتستطيع أن تشرب اللبن ، إذن ؟

كريس : أنا لاأحب اللبن ، وهذا كل ماهناك .

إدوارد : لقد قلت أن الطبيب قال شيئاً بشأنك . هذا يعنى أنك لاتستطيع أن

تشرب اللبن . كل إنجليزى يستطيع أن يشرب اللبن . هذا هو السبب فى أن الحكومة توفره لكل فرد ، أليس كذلك ؟

كريس : ولكننى إنجليزى .

إدوارد : لا ، انظر إلى نفسك . إنك لست حتى أبيضاً .

(إظلام على الأولاد . كريستوفر يهز رأسه .)

كريستوفر : استمر هذا لفترة تقترب من الثلاثة أشهر فقط ، والحمد لله ، ثم ركبنا أول سفينة متاحة تقلع من " ليڤربول " وعليها قطار للبضائع ، ومن الصدف إنها كانت فرقاطة مصرية قديمة تسمى " النيل " . وقد صادفنا إعصار اكتوبر ونحن فى المحيط الأطلنطى ، ثم استيقظنا ، بعد ثلاثة أيام لنجد الماء فى القمرة بارتفاع قدم ، وسقط القطار من على ظهر الفرقاطة : لكن هذا لم يوقف سعادتى بمغادرة إنجلترا . وهذه المرة عدت إلى مؤسسة تعليمية أكثر تواضعاً : المدرسة البريطانية للبنين ، فى شارع فؤاد الأول . وكان تلميذها الملكى الوحيد هو ابن الملك ألبانيا السابق : شاب طويل بشكل غير طبيعى، وذو مظهر لانظير له . وبالرغم من اسم المدرسة ، فقد كنت الطالب البريطانى الوحيد فى فصلى ذو الثلاثين تلميذاً . وقد كنت سعيداً هناك لدرجة اننى كنت اتحدث فى المدرسة ، أو مع أصدقائى اللبنانين الجدد إيدى وفريدى ، باللغة الإنجليزية باللكنة العربية .

ستة

ترتفع الإضاءة على المنزل : كريس فى غرفة الجلوس يقرأ ، والأم فى الغرفة الاحتياطية تعيد تركيب حواشى فستان على ماكينة الخياطة ، وإبراهيم فى المطبخ يقوم بكى بنطلون مستخدماً قطعة قماش قديمة .

إبراهيم يأخذ رشفة من الماء الساخن من زجاجة " الچن " ، ويقوم بمهارة ملحوظة ببخ الماء على قطعة القماش ثم يبدأ فى الكى . كريس يضع الكتاب جانباً ويسير الهوينى إلى المطبخ .

كريس : مرحباً .

(يصدر إبراهيم صوتاً يدل على رد التحية لكنه يواصل عملية الكى . كريس يأخذ زجاجة كوكاكولا من الثلاجة ويفتحها .)

ماذا تعنى كلمة " استعمار " ؟

إبراهيم : تعنى إنك تتحدث مع أناس من الجانب الخطأ .

كريس : نعم ، ولكن ماذا ... ؟

(يتوقف فجأة بعد أن نزع السدادة الداخلية لغطاء الزجاجة .)

انظر ، لقد كسبنا شيئاً

(إبراهيم ، مستثارا ، يضع المكواة جانباً)

إبراهيم : أرنى .

(يستخرج قطعة ورق بالية مغطاة برموز وشروح عديدة باللغة العربية ، ثم يأخذ غطاء الزجاجة من كريس ويتفحصها ويقارنها بقطعة الورق .)

ليست الشيفروليه .

كريس : ماذا كسبنا إذن ؟

(ينتظر قلقاً ، بينما يجرى إبراهيم إصبعه على الرموز)

إبراهيم : ها . خمس زجاجات من الكوكاكولا .

كريس : أوه .

(إبراهيم يفكر للحظة ، ثم يضع قطعة الورق جانباً ، وقد اتخذ قراراً .)

إبراهيم : سوف أحضرهم فوراً . سوف أنادى على عبد اللطيف عبر الشارع .

عندى إحساس . المرة القادمة سوف تكون الشيفروليه . كن على حذر ولاتلمس المكواة .

(يخرج من الباب الخلفى ، وهو عبارة عن ستارة شبكية تسمح بدخول الهواء دون الحشرات ، وقد حمل غطاء الزجاجة معه ، وضبط طربوشه على رأسه. يبدأ كريس فى صب الكوكاكولا فى كأس ، بينما يصل الأب عائداً من مكتبه ، فى حلته الرمادية الخفيفة ، حاملاً حقيبته . الأب يتوقف لحظة فى الصالة ويصدر صفيراً خافتا يعلن به عن عودته . الأم تتكلم من الغرفة الاحتياطية ، دون أن تتحرك من مكانها .)

الأم : مرحباً .

الأب : بخير ؟

الأم : نعم .

(يدخل الأب إلى غرفة الجلوس ، ويخلع سترته ، ويجلس فى مقعده ، ويخرج صحيفته من الحقيبة . فى نفس الوقت يتحرك كريس إلى غرفة الجلوس ، حاملاً الكوكاكولا ، لينضم إلى والده .)

كريس : لقد كسبنا جائزة من الكوكاكولا .

الأب : لا أظن أنها الشيفرولية .

كريس : لا ، خمس زجاجات مجانية .

الأب : حسناً . ما أخبار المدرسة ؟

كريس : بخير من المفترض أن أكتب مسرحية لواجب الإنجليزية .

الأب : حقاً ؟ أى نوع من المسرحيات ؟

كريس : ليس من المسموح لنا أن نستخدم أى كلمات .

الأب : عمل صعب .

كريس : أنا لم أشاهد مسرحية فى حياتى . ما هى خصائص المسرحيات ؟

الأب : حسناً ... المسرحية تشبه الفيلم فى الحقيقة ، لكنها تدور فى مكان واحد . فى الحقيقة بعض الأفلام مأخوذة عن مسرحيات .

كريس : أى الأفلام ؟

الأب : حسناً ، فيلم **مشابك شارع ومبول** ، لا ، قد لاتتذكر هذا الفيلم لأنه قديم. لاأستطيع أن أتذكر نموذج آخر . بشكل عام إنها الأفلام المليئة بالحوار ، ومن هنا يمكنك أن تتعرف عليهم .

كريس : ولكن ليس من المسموح لنا استخدام أى كلمات .

الأب : حسناً . هذا شيئ مخادع .

(صمت ، ثم يفتح صحيفته .)

على أى حال ، ماذا تحب أن تشاهد غداً ؟

كريس : ما هى الأفلام المعروضة ؟

الأب : حسناً ، هناك **يوليوس قيصر** فى سينما " الحمراء " . إنه فيلم مأخوذ عن مسرحية .

كريس : وماذا هناك أيضاً ؟

الأب : **فى ضوء القمر الفضى** فى سينما " ريو " بطولة دوريس داى . **وثلوج كليمنجارو** بطولة جريجورى بيك وآفا جاردنر فى سينما " ريالتو " . ماذا تحب أن تشاهد مهنم ؟

كريس : ماذا فى سينما " مترو " ؟

الأب : **حديقة الشيطان** بطولة جارى كوبر وريتشارد ويدمارك .

كريس : هذا فيلم جيد على مايبدو .

الأب : اذهب واستطلع رأى ماما .

(يخرج كريس من الغرفة . يقلب الأب الصفحة ثم تأخذ الكلمات المتقاطعة كل اهتمامه . يصل كريس إلى الغرفة الاحتياطية .)

كريس : ماما .

الأم : نعم .

كريس : هل تحبين أن تشاهدى فيلم **حديقة الشيطان** لجارى كوبر ؟

الأم : ليس هذا فيلماً آخر عن رعاة البقر ، أليس كذلك ؟ لقد شاهدنا واحداً الأسبوع الماضى .

كريس : **شين** ؟ لقد أعجبك .

الأم : المشاهد الطبيعية كانت جميلة ، لكن نهاية الفيلم كانت سخيفة .

(يقف كريس للحظة منتظراً ، وأخيراً تنظر إليه الأم .)

انت تختار ياعزيزى ، وسنشاهد نحن ماتختار .

كريس : شكراً .

(خلال الحوار السابق ، يكون ابراهيم قد عاد إلى المطبخ ، حاملاً زجاجات الكوكاكولا فى حقيبة ورقية ، يصدر عنها خشخشة . يخرج الزجاجات ويرصها على المائدة ، بينما يصل كريس ، إبراهيم ينهى مايفعل ، ثم يتأمل صف الزجاجات بوقار.)

إبراهيم : أحس إحساساً صادقاً إننا سنجد الشيفروليه فى واحدة من تلك الزجاجات.

كريس : هل أفتحهم ؟

(يؤمى إبراهيم ، وقد وضع إصبعه على شفتيه محذرا . ويبدأ كريس فى فتح الزجاجات ، معطيا الأغطية لابراهيم لكى يفحصهم ، لكن وجه إبراهيم ، واللعنات التى يصدرها باللغة اللعربية ، تشيران إلى خيبة أمله . صمت . يتنهد إبراهيم وهو يتأمل صف الزجاجات .)

إبراهيم : عطشان ؟

كريس : سوف أحاول .

(يجلس ويستكمل كأسه . إبراهيم يعود إلى الكى . تمر لحظة .)

يمكنك أن تأخذ بعضها إلى منزلك .

(إبراهيم يفكر فيما قيل)

إبراهيم : لا .

كريس : هل تعيش زوجاتك فى نفس المكان ؟

إبراهيم : لا . فى الماضى نعم ، لكن ليس الآن . لم يستطعن العيش سوياً . منذ انتهاء الحرب .

كريس : ولم لا ؟

إبراهيم : الزوجة الأولى متشيعة جداً للبريطانين ، وقد كانت سعيدة جداً بعملى هنا ، وهى تعتقد أن ملكتكم الجديدة رائعة ، وهى تطلع على كل المجلات . لكن الزوجة الثانية كانت واقعة فى غرام موسيلينى . حين كانت تراه فى السينما ، كانت تعتقد إنه فى غاية الجمال . إنها لاتعرف اسمه الصحيح ، لذا تناديه بأسم " موسى نيلى " ، ومعناها موسى النيل. فكرها أن قدره أن يحكم مصر ، ولهذا انتقلت الحرب إلى بيتى .

كريس : هل كانت تحب هتلر . أيضاً ؟

إبراهيم : ليس كثيراً . لقد أحبته قليلاً لأنه كان صديقاً لموسيلينى .

كريس : وإلى أى جانب كنت تنحاز ؟

إبراهيم : أنا محايد جداً متشيع للبريطانيين. لهذا أنا حزين عليها . لكنها لطيفة جداً وعطوفة ، ولهذا أغفر لها نازيتها .

(صمت ، يقوم إبراهيم بالكى بسرعة ودقة . تغادر الأم الغرفة

الاحتياطية ، وتعبر الصالة حاملة فستانها إلى الدور العلوى وتختفى . كريس يصب لنفسه مزيداً من الكوكاكولا .)

كريس : يجب أن أكتب مسرحية لواجب المدرسة .

إبراهيم : هذا حسن .

كريس : لكننى لم أشاهد مسرحيات أبداً .

إبراهيم : إنها مجرد قصة .

كريس : اختراع القصص أمر صعب .

إبراهيم : حسناً ، لديك ثلاث رجال فى الصحراء ، ومعهم كنز ، ربما بعض الذهب، أو الكثير من الذهب . وهم لايثقون فى بعضهم البعض . واحد منهم يقول . . .

كريس : ليس مسموحاً باستخدام أى كلمات .

إبراهيم : حسناً ، إنهم متخاصمون. من الطبيعى ألا يثقوا فى بعضهم . واحد منهم يسمم البقول . واحد آخر يثقب زجاجة الماء . والثالث يفكر فى الانتظار حتى ينام الآخران. ولهذا ينتظر ثم بفففففتت ! (يمرر إصبعا على زوره) لكن الثالث يستيقظ : وهكذا يراقبان بعضهما فى كل لحظة . ثم يسيرون فى الصحراء ، ويسيرون ، يوماً بعد يوم . ما طول هذه المسرحية؟

كريس : خمس دقائق .

إبراهيم : وفجأة يأكل واحد منهما البقول . ويبقى الثالث وحده ، مع الذهب كله .

كريس : هل هذه هى النهاية ؟

إبراهيم : لا ، لا ، لأن الله يجب أن يعاقبه . ولهذا .. دعنى أفكر . . لهذا يعضه ثعبان ! هذا صحيح ، إنه يموت من الألم ، وتلك هى النهاية .

كريس : ولكن كيف أتصرف مع الثعبان ؟

إبراهيم : الثعبان ؟ سوف أصنع لك ثعبانا . سوف .. أصنع ثعبانا .. من العجين.

(صمت ، بينما يفكر كريس فى هذه الحيلة .)

كريس : حسنا ، شكراً لك .

إبراهيم : جيدة ، أليس كذلك ؟

(الأم تظهر أعلى السلم ثم تهبط الدرج . إبراهيم يضع بنطلوناً قصيرا على طاولة الكى ، ثم يملأ فمه بالماء استعداداً لـ " بخ " البنطلون فى لحظة وصول الأم إلى المطبخ مما يضطره لابتلاع الماء سريعاً . إمارات الارتباك تبدو على كريس وإبراهيم.)

الأم : حين تنتهى من هذا ياإبراهيم ، هل يمكنك أن تحضر إلى الغرفة الاحتياطية لكى نجهز قائمة المشتروات ؟

إبراهيم : نعم ، ياسيدتى .

(يتجه إلى الصنبور ويفتحه ويغمس أصابعه فى الماء وينثره على قطعة القماش التى تغطى البنطلون .)

الأم : أنا سعيدة لأنك تقوم بالكى بهذه الطريقة ، لقد شاهدتهم فى الدكان فى آخر الشارع يبصقون على الملابس .

إبراهيم : لا .

الأم : رأيتهم فعلاً .

إبراهيم : هذا مقرف ، ياسيدتى .

(الأم تنتبه فجأة إلى كل زجاجات الكوكاكولا المفتوحة .)

الأم : ما كل هذا ؟ لماذا فتحتوهم كلهم ؟

كريس : لقد كسبناهم . وقد أردنا أن نعرف ما إذا كنا كسبنا شيئاً آخر .

الأم : هذا إهدار للمال .

كريس : لا ، انهم لم يكلفونا شيئاً .

الأم : حسنا إذن ، هذا إهدار للكوكاكولا .

كريس : سوف أشربهم كلهم .

الأم : لن تفعل هذا . لو فعلت ستمرض .

(صمت محرج . الأم تترك الغرفة وهى تتنهد وتهز رأسها . صمت . يملأ إبراهيم فمه ، دون وعى ، بالماء ويبخه على المكوى . كريس يضحك. فى نفس الوقت يكون الأب قد أنزل صحيفته جانباً ، ونظر إلى ساعته ، وتوجه صوب المطبخ إلى أن يصل إليه .)

الأب : سيبدأ الإرسال فى ظرف دقيقة .

كريس : فعلاً ؟

الأب : هل أنت قادم ؟ (**يبتسم تجاه إبراهيم .**) أنا فى احتياج لكأس ويسكى

بالصودا ، حين تكون جاهزاً ياإبراهيم .

إبراهيم : سوف انتهى من القائمة مغ سيدتى أولا .

الأب : خذ وقتك .

(يعود أدراجه إلى الصالة ، وخلفه كريس ، وحين يصلان إلى غرفة الجلوس يقوم الأب بتشغيل الراديو . ينتهى إبراهيم من كى البنطلون ، ويجهز مفكرة وقلم رصاص ، ويعيد لبس طربوشه ، ويعلن قدومه إلى الأم فى الغرفة الاحتياطية . تبدأ الأم فى إملاء قائمة المشتروات بصوت خفيض . إبراهيم يبلل طرف القلم ويكتب . فى نفس الوقت يحادث كريس أبيه .)

كريس : ما معنى كلمة " استعمار " ياأبى ؟

الأب : حسنا ، إن لها صلة بالمستعمرات . إن بعض البلاد ، كبريطانيا ، ولأسباب تاريخية عديدة ، تسيطر على بلاد أخرى ، الاستعمار ليس... كلمة لطيفة لتوصيف هذا الوضع . هذا ليس فى الحقيقة عدلاً ، لأننا .. أوه ، لقد بدأ الارسال .

(فى هذه اللحظة ، يكون الراديو قد " سخن " ، ولهذا يجلس كريس والأب ليستمعا إليه . تخفت الإضاءة ، بينما تذاع أسماء المشاركين فى "رحلة فى الفضاء" .)

سبعة

بعد أن يعطى " المذيع " التاريخ المستقبلى (١٩ أكتوبر ١٩٦٥) يتلاشى الصوت، ويبقى كريستوفر معزولا فى بقعة ضوء ينعكس على نظارته .

كريستوفر : كان والدى يعرفان عددا قليلا من الناس خارج العمل : لكن يبرز منهم شخص غائم الشر يدعى البرت ايشيردج ، وقد تعرفت عليه أمى من خلال أحد أخوتها الذى كان يعمل فى BOAC . كان البرت متزوجاً بسيدة لبنانية تدعى فاطمة ، التى كان يتسبب طبخها الحريف ، الغارق فى الثوم ، فى إيذاء معدة أبى الرقيقة . وكان لألبرت وفاطمة ابن فى مثل سنى ، يدعى بول ، وقد كان عصبياً ، متحفظاً ، وبلا إهتمامات معروفة . ومن وقت لآخر كنا نحس بضرورة رد ضيافتهم لنا ، وبعد الغداء دائماً، كانت تأتى اللحظة التى أمقتها :

(ترتفع الإضاءة على غرفة الطعام ، بينما يخلع كريستوفر نظارته لكى يتحول إلى " الأب " . بعد انتهاء الغداء مباشرة ، وقد تم إخلاء المكان ، يجلس ألبرت ايشيردج ، وهو وسيم ، ولكن الخسة تظهر عليه بشكل غريب ، وقد أرسل شعره مستخدما دهان " بريلكريم " ، ويرتدى چاكيت " بليزر " ، ويجلس أمام كأس ضخم من " البراندى " . كريس يجلس مع بول إلى المائدة ، وهو طفل شاحب ، تظهر إمارات الخوف فى عينيه الواسعتين ، يحضر الأب زجاجة البراندى ويزيد كأس البرت المتخمة . إبراهيم يقوم بغسل الأطباق فى المطبخ .

الأب : هل نذهب إلى الحديقة لننضم إلى السيدات ياألبرت ؟

ألبرت : على الرحب والسعة .

(يقف بصعوبه ، فيظهر عكاز معلق على ظهر الكرسى الذى كان يجلس عليه. يلتقط العكاز ويتحرك صوب الباب ممايظهر عرجه الشديد.)

الأب : أنا واثق من أنكما تفضلان اللعب وحدكما يا أولاد . إلعبا فى غرفتك يا كريستوفر .

كريس : حسنا ...

ألبرت : تصرف بشكل لائق يابول ، هل تسمعنى ؟

بول : نعم ياأبى .

(الأب يسير أمام ألبرت خارجين من الغرفة ، عبر الصالة ، إلى غرفة الجلوس ، حيث يتوقف الأب للحظة .)

الأب : اترك سترتك يا ألبرت .

ألبرت : سوف أفعل بالتأكيد .

(يضع كأسه وعكازه جانبا ويتخلص من سترته بطريقة غريبة .)

الأب : ورباط عنقك ، إذا كنت تحب .

ألبرت : لا ، أفضل الاحتفاظ برباط العنق .

(فى نفس الوقت ، يقوم كريس وبول بالنظر إلى بعضهما بعدم ارتياح عبر المائدة ، ولكن كريس يكسر الصمت بمجرد خروج الأب وألبرت من الشرفة إلى الحديقة .)

كريس : هل شاهدت **الأحراش العارية** ؟

بول : لا .

كريس : هل شاهدت **فاجعة چين** ؟

بول : لا .

كريس : حسنا ، هل شاهدت **علامة الوثنى** لـ " چاك بالانس " ؟

بول : لا . أبى لايسمح لى بالذهاب إلى السينما .

كريس : آه ، فهمت ، أنا آسف .

(يدخل إبراهيم إلى الغرفة لأخذ مابقى من أكواب القهوة وغيرها .)

إبراهيم : هل أحضر لك مشروبا ؟

كريس : لا ، شكرا يا إبراهيم .

(إبراهيم يلتفت نحو بول)

إبراهيم : زجاجة كوكاكولا ، ربما ؟

بول : لا ، شكرا جزيلا .

إبراهيم : هل تعرف ، أنت محظوظ بصداقتك لكريستوفر، لأنه سيكون يوما ما رئيسا لوزراء إنجلترا .

كريس : ابراهيم ، لو سمحت .

إبراهيم : حقاً ما أقول . مثل السير ونستون .

(يعود إلى المطبخ بعد أن حمل كل شيئ على صينيته ، بعد مغادرة إبراهيم ، ينظر كريس إلى بول كالمعتذر .)

كريس : إنه يقول هذا دائماً .

(لايجد بول إجابة مناسبة .)

هل أصيب أباك بسبب الحرب ؟

بول : لا ، أصيب فى حادثة موتوسيكل .

كريس : هل تعرف معنى كلمة " جرح " بالفرنسية ؟

بول : أنا لا أدرس الفرنسية .

كريس : إنها تعنى Blessure . لم أكن أعرف ولهذا كتبت " سعادة الجندى تنزف ببطء "

(لايجد هذا أيضاً أى صدى ، فيقف كريس منزعجاً .)

هل نذهب لنلعب ؟

بول : إذا كنت تحب .

(يقف ويسير خلف كريس إلى الصالة ، حيث يتوقف كريس للحظة ناظرا إلى أعلى السلم .)

كريس : يمكننى أن أصعد على الحافة الخارجية .

بول : ماذا تعنى ؟

كريس : الحافة الخارجية للدرابزين . يمكننى أن أتسلق على الحافة الخارجية للدرابزين حتى القمة .

(بول ينظر متجهما ليجد أن الدرابزين يلتف ويستمر حتى منبسط الدرج فى الحائط البعيد . يشير بول إلى هذه النقطة .)

بول : وكيف تصعد فوق هذا ؟

كريس : لاأستطيع ذلك . اننى أنزل وأصعد السلالم بالطريقة الطبيعية .

بول : وما الهدف من هذا كله ؟

كريس : لمجرد الهزل ، هذا كل ما هناك . سوف أريك .

(يذهب ويقف على الحافة الخارجية للدرابزين ، ويتسلق بضع درجات . المسافة بين أعمدة الدرابزين يجب أن تكون واسعة لتكفى قدم واحدة فقط .)

هل تريد أن تجرب ؟

(بول يتردد ، لأنه فى الحقيقية لايريد ، لكنه يتظاهر بالموافقة .)

بول : نعم ، سأحاول .

(يبدأ فى متابعة كريس بحذر ، لكنه يصاب بالدهشة حين يكتشف أن الأمر ليس بالصعوبة التى تخيلها ، لكن أنفاسه اللاهثة تشى بتوتره . كريس يبطئ حتى يلحقه بول ، ثم يصعد بسرعة معقولة حتى يستطيع بول ملاحقته . فى منتصف الطريق إلى أعلى ، وبعد أول منحنى ، يلتفت كريس نحو بول .)

كريس : هل أنت على مايرام ؟

بول : نعم ، أنا بخير .

(يواصلان الصعود حتى القمة . يترك كريس مسافة كافية بموازاة منبسط الدرج لكى يتمكن بول من التغلب على المنحنى بأمان . يقفان هناك للحظات ، وقد تشبثا بقوة .)

كريس : ها قد وصلنا . هذا لطيف ، أليس كذلك ؟

(لكن بول لايرد ، بعد أن أغلق عينيه بقوة ، والتصقت رأسه بكتفيه . كريس ينظر إليه بقلق .)

ماذا حدث ؟ هل أنت على مايرام ؟

(يصدر بول نشيجاً مكتوماً)

ماذا حدث ؟ كل ماعليك أن تفعل هو أن تهبط .

بول : لا أستطيع .

كريس : نعم تستطيع ، لأن الهبوط أسهل .

بول : لايمكنني أن أهبط قبلك .

(بول يتنفس بصعوبة ، بينما يقوم كريس بتقييم الموقف .)

كريس : حسنا . إذا ما أقتربت من الدرابزين بقدر الامكان فيمكنني أن أتجاوزك وأهبط قبلك .

بول : حسنا .

(يبذل قصارى جهده لكي ينفذ الاتفاق : ولكن ما إن يضع كريس يده على كتف بول ، استعدادا لتجاوزه ، حتى يمسك به بول بقوة .)

لا .

كريس : ماذا ؟

بول : لايمكن ، إذا تجاوزتني فلن أستطيع الهبوط وراءك .

كريس : ولم لا ؟

بول : لا أستطيع أن أتحرك .

(صمت . كريس يفكر . إبراهيم ، فى الدور السفلى ، يجفف يديه ويخرج من الباب ذو الستار ، ثم ينظف أنفه بمهارة مستخدما الابهام والسبابة، ويتجه إلى مكانه فى نهاية الحديقة .)

كريس : حسنا ، إذا ماتركتنى فيمكننى حينئذ أن أهبط واستدعى أحدا لمساعدتنا .

بول : من ؟

كريس : إبراهيم .

بول : ولكن هذا يعنى انك ستتركنى وحدى .

كريس : لمدة دقيقة واحدة . سوف أعود سريعا .

بول : إذا ماتركتنى وحدى فسوف أسقط .

كريس : لا ،لن تسقط .

بول : بل سوف أسقط .

(صمت)

كريس : أنا متأكد أن بوسعك أن تهبط بعدى .

بول : لا !

(هناك نبرة هستيريا واضحة فى صوته الآن . يفكر كريس اكثر فى الموقف ثم ينادى بصوت متردد .)

كريس : إبراهيم .

(لكن إبراهيم خرج ، ولهذا ينتظر كريس قليلاً ، ثم ينادى بصوت أعلى.)

إبراهيم .

(لا إجابة . كريس يلتفت إلى بول مرة أخرى .)

حسنا ، عليك أن تساعدنى ، عليك أن تصيح بأقصى ماتستطيع . جاهز ؟ إبدأ .

(يبدأ فى الصباح على إبراهيم بأعلى صوته ، ثم ينضم إليه بول بعد لحظات . يصيحان لفترة ، بلا استجابة ، ثم يسود صمت قاتل .)

ربما كان باستطاعتهم سماعنا ، لكنهم يظنون أننا ننادى على إبراهيم . ربما كان من الأفضل أن نصيح بشيئ آخر .

بول : ماذا ؟

كريس : إلحقونا .

(يبدأن فى الصياح بقوة طلبا للمساعدة ، لكن بلا استجابة أيضا ، ومرة أخرى يسود الصمت .)

ألن تدعنى أذهب لاحضر شخصا ما ؟

بول : لا ، لا ، لا !

(صمت مرة أخرى ، يظهر خلاله ألبرت فى الشرفة وهو يعرج فى طريقه إلى غرفة الجلوس ليخرج غليون ودخان من جيب سترته البليزر . ما إن

يبدأ ألبرت فى حشو الغليون ، حتى يسمع الولدين وهما يصيحان طلبا للمساعدة لإنقاذ حياتهما . ألبرت يضع الغليون جانبا ، ويدلف عارجا إلى الصالة . يقف هناك للحظة ، غير ظاهر للولدين ، لكنه يصدر صوتا مفاجئا يصدمهما .)

ألبرت : ماالذى يجرى هنا ؟

(صمت : ثم يصدر صوت مواء خافت ومرتعب من بول .)

كريس : عفواً ، هل يمكنك مساعدتنا ؟ يبدو أننا تسمرنا فى أماكننا .

ألبرت : هذا ماحدث .

(يبدأ فى صعود السلم ، وهو يردد جملة واحدة طوال الطريق .)

لايمكنك أن تترك فى سلام لمدة خمس دقائق .

(يصل إلى منبسط الدرج ويتوقف للحظة أمام بول منتظرا ظهور رأسه يبطء .) أعتقد أن هذا من تدبيرك .

كريس : لا لقد كانت تلك فكرتى . فأنا أفعل هذا كثيراً .

(ينظر ألبرت إلى كريس للحظة ، ثم يمد يده بخراقه ليجذب كريس فوق الدرابزين إلى منبسط الدرج .)

ألبرت : وما الذى منعك من الهبوط بنفس الطريقة التى صعدت بها ؟

كريس : رفض بول أن يهبط أولا ، واعتقد ... أنه خاف .

البرت : هذا يبدو صحيحا ، فقد ورث الجبن عن أمه .

(يقف ناظرا إلى بول ، دون أن يبذل أدنى محاولة لتخليصه من ورطته.)

حسنا ، ياسيدى ، أعتقد انك تعرف معنى ما أقول .

(يصدر بول صوتا مخنوقا ، ثم يحاول مرة أخرى حتى ينجح فى الكلام.)

بول نعم ياأبى .

(ألبرت يجذبه فوق الدرابزين أخيراً ، ثم ينظر حواليه قبل أن يشير إلى إحدى الغرف (خارج خشبة المسرح) فى نهاية مهبط الدرج .)

ألبرت : اذهب وجهز نفسك هناك .

بول : من فضلك ...

ألبرت : افعل ما أقوله لك .

(بول يخفض رأسه ، ويسير عبر منبسط الدرج ، ويخرج . ألبرت يعطى كريس ظهره ، وقد التمعت عينيه ، وانحرف رأسه إلى الجانب . فى الدور السفلى ، يعود إبراهيم وقد لف الصحيفة العربية تحت إبطه .)

أنا لا أحب أن أفعل هذا ، لكننى أرى أنها الطريقة الوحيدة . أعنى أنه لايجب حتى أن يعامل كإنجليزى .

(يخرج متكئا على عصاه . يسود صمت رهيب يقطعه صوت الضرب : البرت يعوى كالحيوان ، وبول يئن من الألم . كريس يتسمر فى مكانه ، ينظر بعيدا ثم يسترد بصره . فى الدور السفلى ، يترك إبراهيم صحيفته

ويقف على باب المطبخ للحظات ، يهز رأسه ، ثم يعود إلى مقعده كريستوفر يخطو إلى منتصف الصالة).

كريستوفر : أشحت ببصرى ثم نظرت مرة أخرى . كان بوسعى أن أراهما عبر الباب المفتوح . انتابنى إحساس بالذنب - فقد كانت تلك غلطتى على أى حال- لكن كان هناك شيئ آخر .

(تبدأ الاضاءة فى الخفوت ، بينما يخفت صوت بكاء بول تدريجيا حتى الصمت.)

نعم ، لا مناص من الاعتراف : من الواضح اننى ولدت لكى أكون كاتبا.

إظلام

الفصل الثانى

ثمانية

الأضاءة تسقط على كريستوفر

كريستوفر : الإسكندرية . عام ٣٣١ قبل الميلاد ، أمر الإسكندر العظيم ببنائها على قطعة أرض تشبه الهلال الذى يرقد جريحا صوب البحر ، وبعد ثمانى سنوات أعادوه إليها فى تابوت زجاجى ، حتى يستطيع أن يرى أخيرا تلك المدينة التى أوجدها كالساحر . وخلال القرنان التاليان ، وتحت حكم البطالمة منتهكو المحارم ، تحولت الإسكندرية إلى مركز العالم الثقافى . وتحولت مكتبتها الكبرى ، أكثر من منارة الفراعنة ، إلى إحدى عجائب الدنيا السبع . هنا قام إيوكليديس بتوصيل نظامه الهندسى حد الكمال، وقام إيراتوستينيس بحساب محيط الأرض حتى ٥٠ ميلا ، منطلقا من الفرضية القائلة بأن الأرض دائرية ، بينما قام زميله أريستاركوس بافتراض دورانها حول الشمس ، ينما سمح أول تشريح منهجى للجثث للإسكندريين بأن يستنتجوا الدورة الدموية ، وأن المخ هو موطن الذكاء ، كما تم تصنيف قواعد اللغة .

وقبل مرور زمن طويل ، كان معظم هذا كله قد نسى .

(يسمع صوت غريب كانطلاق موسيقى رائعة ، ترحل عبر السماء ينظر كريستوفر إلى أعلى ، منتظرا انتهاءها .)

هناك أسطورة تقول بأن مارك أنطونيو ، سمع قبل موته بزمن قصير ، موسيقى رائعة، تنطلق عبر السماء : كان هذا هو الإله هيركليس يتخلى عنه تاركاً اياه لمصيره . وفى قصيدة شهيرة لقسطنطين كڤافيس ، الذى قضى حياته فى الإسكندرية ، وكان يكتب باليونانية ، غيركڤافيس الاسطورة لكى تكون الإسكندرية هى التى تتخلى عن انطونيو . وفى تلك الظروف ، فإن الشاعر يدعو إلى الرواقية والاعتراف بالجميل ،

وليس إلى الجبن أو الإحساس بالذنب أو خداع الذات : لأنكم جميعا سوف تفقدون إسكندريتكم ، إن عاجلا وإن آجلا .

(يبدو عليه الاستعداد للاستمرار فى الحديث ، لكنه يتوقف فجأة ، حين يسمع صوتا قادما من مقاعد المتفرجين .)

الصوت : اسمع ، أنا أدفع ضرائبى ، ما هذا ؟ إن رأيى المبجل ...

(بينما يحدق كريستوفر فى صالة المسرح المظلمة ، وقد انتابه عدم الارتياح ، يصدر صوتان آخران من الصالة ليوقفا هذا الصوت .)

الصوت الثانى : اخرس !

الصوت الثالث : أخرجوه من هنا ، إنه مخمور .

(يقفان ويحاصران الرجل الأول ويبدآن فى مطاردته للخارج . يظهر أن الرجال الثلاثة شبان مصريون ضخام . جرس يدق . وسط هذه الفوضى ، يختفى كريستوفر ويظهر بدلاً منه مصرى ضخم يرتدى " فراك " أسود ورباط عنق أبيض ضخم : إنه " د . توماس ستوكمان " فى مسرحية عدو الشعب .

ستوكمان : لقد أحببت مدينتى التى ولدت فيها دائما ، هذا الحب الذى يحسه الإنسان تجاه موطن طفولته فقط . لقد رحلت حين كنت يافعا ، ولكن النفى ، والحنين للوطن ، وذكريات الماضى ، ظلت تنشر نوعا من الوهج على المكان وأهله .

(تصفيق وهمهمات إعجاب من القائمين بدور المستمعين بين الجمهور .)

وحين ساعدنى الحظ ، أيها السادة ، على العودة إلى موطنى أخيرا ، بدا

الأمر كما لو كانت كل أحلامى ستتحقق . باستثناء حلم واحد : رغبتى الملحة، المستديمة ، الحارقة ، فى أن أكون فى خدمة مجتمعى . ولكن وا أسفاه، فقد اختل ميزان مادبرت ، لأن غباء المسئولين المستحكم كان أول شيئ صادفته ...

(يدق الجرس وتحدث حالة هرج فى المكان ، لكن " ستوكمان " يواصل حديثه .)

أنا لا أحب الزعماء ، فقد عرفت عنهم الكثير فى حياتى . وفى الحقيقة، فقد كنت أرى نموذجا منهم أمام عينى كل يوم - أخى بيتر ...

(عاد السكير وهو يقوم الآن بتعكير صفو اللقاء .)

السكير : هل تتحدث عنى ؟ أنا اسمى بيترسين ، وأنا ...

الصوت الثانى : أخرجوه من هنا !

الصوت الثالث : هيا بنا ، أنت مخمور .

(يتم إخراج السكير ثانية)

ستوكمان : لكن الحقيقة أن زعماءنا ليسوا هم من يمثلون تهديدا لمجتمعنا : إنهم ليسوا أكثر الناس خطراً وعداوة للحقيقة والحرية .

الصوت الثانى : من هو العدو إذن ؟

الصوت الثالث : هيا ، أخبرنا !

الصوت الثانى : إعطنا الأسماء !

ستوكمان : سوف أفعل . هذا ما اكتشفته أمس : إن الأغلبية هى الأكثر عداوة

وخطراً على الحقيقة والحرية ... تلك الأغلبية الليبرالية الملعونة ، المتلاحمة .

(يدق الجرس . زئير ، وصياح فى مقاعد المتفرجين ثم : إظلام .)

تسعة

تزداد الإضاءة فى المسرح ، إبراهيم يجلس مسترخياً فى المطبخ وهو يدخن سيجارته، ويراقب كريس وهو يفرط الذرة من القوالح . الأم تجلس فى الغرفة الاحتياطية ، بينما النور مطفأ رغم حلول الظلام .

كريس : هذا رائع ! أن يكون لديك متفرجين فى الصالة إذا أردت ذلك .

إبراهيم : طبعا ، فلو لم يكن هناك متفرجين فى الصالة ، فلماذا تقدم المسرحية .

كريس : لا ، أنا أعنى وضع أناس بين المتفرجين بينما هم جزء من المسرحية . هذا الولد الجالس بجوارى بدأ فجأة فى الصياح ، وقد حاولت إسكاته ، لكنه كان من المفروض أن يعترض .

إبراهيم : وكيف تعرف ذلك ؟

كريس : ذلك كان تسلسل القصة : كان الدكتور يحاول أن يخطب ، لكن كان عليهم هم أن يوقفوه .

إبراهيم : لأنه كان عدو الناس ؟

كريس : بالضبط .

إبراهيم : كيف تنتهى القصة ، هل يطلقون عليه النار ؟

كريس : لا ، إنهم يحطمون نوافذ بيته ، وهو يفقد وظيفته ، وابنته تفقد وظيفتها، وكل أصدقائه يفقدون وظائفهم ، وهم يطردون من منزلهم وتصادر أموالهم ، ويطرد أولاده من مدرستهم وفى النهاية يحس بالارتياح.

(إبراهيم يفكر مقطبا .)

إبراهيم : لماذا ؟

كريس : لأنه قرر أن يواجه الأغلبية .

إبراهيم : لهذا فأنت تحب المسرح ؟

كريس : إنه رائع .

(ينتهى كريس من الذرة فيجلس ، بينما يقوم إبراهيم بإطفاء سيجارته، ويملأ وعاء كبيرا بالذرة ويضعه على النار لكى يغلى ، ويستأنف إعداد العشاء الذى يتكون من أضلاع الحمل والبطاطس المهروسة والبازلاء التى يبدأ فى تقشيرها بمجرد بدء الحديث ، وهو يدفع ببعض القرون إلى كريس لكى يساعده فى تقشيرها ، بالرغم من أنه يأكل من البازلاء بقدر مايضع فى المصفاة .)

على أن اكتب مسرحية أخرى فى نهاية الاسبوع كواجب .

إبراهيم : لأن مسرحيتنا الأولى كانت ناجحة جدا ، هه ؟

كريس : لا ، بل يجب على كل تلميذ أن يكتب واحدة أخرى .

إبراهيم : لكنها كانت ناجحة جداً ؟

كريس : حسنا ، ليس بالضبط : لقد انكسر الثعبان .

إبراهيم : إحم ...

(يسلك زوره بخوف بعد أن أحس بالطعنة ، ثم يقف ويعبر من الباب ذو الستار ، ويتمخط ويبصق ويعود . نبرة صوت كريس تظهر محاولته للترضية.)

كريس : حتى تلك اللحظة كان كل شيئ يسير على مايرام .

إبراهيم : طبعا .

كريس : هذه المرة يجب أن يكون زمن المسرحية خمس عشرة دقيقة :و بإمكان الشخصيات أن تتكلم .

إبراهيم : حسنا ، سوف نفكر في قصة .

كريس : لقدعثرت على قصة .

(إبراهيم ليس سعيدا بما يسمع ، ولهذا ينظر إلى كريس بشك)

إبراهيم : قصة ماذا ؟

كريس : إنها عن رجل يقتل عجوزا ، ويقوم بتقطيعه ووضعه تحت ألواح الأرضية. ثم حين يأتي البوليس ، يقوم الرجل بتسليم نفسه لأنه متأكد أنه يستطيع أن يسمع قلب الرجل وهو يدق .

(صمت . يبدو الارتباك على إبراهيم .)

إبراهيم : لماذا يقتله ؟

كريس : لا أدرى . أعتقد أنه لايحب شكل عينيه .

إبراهيم : أين عثرت على هذه القصة ؟

كريس : فى كتاب من كتب المكتبة . إنها تأليف إدجار الآن بو .

إبراهيم : هل هو مشهور ، هذا الـ " ألامبو " ؟

كريس : أعتقد هذا .

إبراهيم : لكن ليست هذه قصة جيدة . قتل العجوز وتقطيعه ودفنه تحت ألواح الأرضية أشياء جيدة جدا ، ودخول البوليس جيد ، ولكن عليك أن تعرف الأسباب . وإلا كانت بلا معنى .

كريس : هل يجب على الإنسان أن يفسر كل شيئ ؟

(إبراهيم ينظر إلى كريس للحظة ، كما لو كان هذا السؤال خدعة ، ثم يجيب وهو ناقم .)

إبراهيم : لماذا تريد أن تغضب المتفرج ؟ لن يعود إليك مرة أخرى .

كريس : حسنا ، إلا إذا ...

إبراهيم : لا . لماذا يقتل العجوز إذن ؟ لابد وأن يكون السبب ... ؟

(ينتظر كريس لكى يكمل الجملة ، وحين لايفعل هذا ، يواصل إبراهيم حديثه وفى نبرات صوته بعض السخط .)

ذهبه ! فغرفته مليئة بالذهب ، تحت الفراش ، وفى كل مكان ، وهو لاينفق شيئاً، إنه ماتدعوه أنتم ...

كريس : بخيل Miser .

إبراهيم : نعم ، بخيل . ويجب أن تكون هناك شخصيات أخرى ، وليس فقط الرجل والعجوز والبوليس . يجب أن يكون هناك زوجات ، وعمات ، وشقيق . الرجل عطوف جدا جدا على العجوز حتى يقول العجوز : "أنا أترك لك كل ذهبي . " حينئذ يقتله ، ويحصل على كل الذهب، ثم يبدأ في سماع هذا .. القلب .

كريس : فهمت .

إبراهيم : ما اسم القصة ؟ كما سماها " ألامبو " ؟

كريس : **قلب الواشي** .

إبراهيم : ليس جيدا . يجب أن تطلق عليها اسما آخر . سمها **ذهب** !

كريس : هل تظن ذلك ؟

إبراهيم : أنا لا أحب الأسماء التي فيها " قلب " .

(يتوقف لحظة مفكراً ثم يعود مرة أخرى لإعداد العشاء ، ويبدأ في تقشير البطاطس . في الغرفة الاحتياطية الصغيرة ، تدفن الأم وجهها بين يديها وتبدأ في النحيب، وتنشج بهدوء حتى لايسمعها من في المطبخ . كريس يلتهم بعض حبات البازلاء ، ويستجمع شجاعته ليسأل سؤاله .)

كريس : ما أخبار قلبك ؟ هل هو علي ما يرام الآن ؟

إبراهيم : نعم ، أنا أفضل كثيراً الان ، لأنني آكل أقراص الدواء . إنها أقراص غالية لا أقدر على ثمنها ، ولهذا يعطيني والدك أجرا إضافيا . أعتقد

أننى بدون الاقراص كنت مت الآن .

(كريس يؤمى برأسه بوقار ، ثم يتجه إلى الصيوان ويخرج كأسا ثم يحضر زجاجة الـ " چن " من الثلاجة ، ثم يملأ الكأس حتى منتصفه ، ثم يأخذ رشفة فيشرق .)

ماذا جرى ؟

(ينتفض واقفا . كريس لايتسطيع الإجابة للحظة لكنه يشير إلى كأسه. إبراهيم يأخذ الكأس ويتشممه ثم يشرب .)

آه ، نعم ، هذا هو الـ " چين " الحقيقى . **(يتشممه مرة أخرى)** أعتقد أنه "چين". **(يتجرع جرعة أخرى كبيرة .)** نعم . **(ثم واحدة أخرى)** ليس سيئا ، هه ؟

كريس : لا .

إبراهيم : أظن من المستحيل إعادته إلى الزجاجة . تصرف غير صحى . ومن العار إهداره .

(يأخذ رشفة بارتياح ثم يضع الزجاجة إلى جواره .)

كريس : ألا تريد بعض الـ " تونيك " معه ؟

إبراهيم : لايمكن للإنسان من أن يحصل على مايريد دائما .

كريس : سوف أذهب لأرى ماما .

إبراهيم : أعتقد أنه من الأفضل ألا تخبر سيدتى بما أفعل ، أعنى شرب الـ"چين".

(تبدو خيبة أمل كريس واضحة تجاه هذا الحظر ، وبعد تردد يقبل الأمر

دون تحمس.)

كريس : إتفقنا .

(يغادر المطبخ تجاه غرفة الجلوس عبر الصالة ، وبسبب الظلمة لايتمكن كريس من رؤية أمه فى الغرفة الاحتياطية ، ولكنه ما إن يصل إلى باب الغرفة حتى يسمع نهنهة مكتومة ، وعلى اثرها يعود أدراجه ، بعد تردد ، تجاه الغرفة الاحتياطية . يقف أمام باب الغرفة للحظة قبل أن يبادر بالحديث .)

ماذا حدث ؟

الأم : كل شيئ على مايرام ، لاشيئ حدث .

(كريس يتردد فى بحثه عن مدخل آخر .)

كريس : لابد وأن هناك شيئ .

الأم : لا . لا .

كريس : ألا تستطعين إخبارى ؟

(تنظر إليه الأم للحظة محاولة جمع شتات نفسها .)

الأم : لا أعرف كيف أخبرك .

(من الحديقة يأتى صوت صفارة الأب المزدوجة المميزة ، فتهب الأم واقفة .)

أخبر إبراهيم ووالدك اننى لن أنزل للعشاء .

(تنجح الأم فى عبور الصالة والوصول إلى السلم قبل دخول الأب حاملا حقيبته. يتوقف الأب حين يرد كريس واقفا فى مدخل الغرفة الاحتياطية .)

الأب : مرحبا ، ماذا تفعل ؟

كريس : ماما تقول إنها لن تنزل لتناول العشاء .

الأب : ليس بسبب الصداع النصفى على ما أمل ، لقد كانت على مايرام هذا الصباح .

كريس : لقد كانت تبكى .

الأب : آه .

(يستدير صوب غرفة الجلوس حيث يخلع سترته ويجلس فى مقعده . يقف كريس فى مكانه للحظة ، ثم ينضم إلى والده .)

كريس : ماذا جرى لها ؟

الأب : ماذا قالت ؟

كريس : لم تخبرنى .

الأب : أعتقد أنها ستكون على ما يرام .

كريس : نعم ، ولكن ماذا جرى لها ؟

(صمت . فى المطبخ ، يقوم إبراهيم بمزج كأسين من الوسيكى بالصودا بمجرد علمه بوصول الأب) ألا تعلم أنت ؟

(الأب لا يجيب ، وبدلاً من هذا يخرج صحيفته من الحقيبة)

الأب : هل قررت ماذا ستشاهد غداً ؟

كريس : لا أعرف هل سيكون لدى ما يكفى من الوقت أم لا . لابد وأن أقوم بكتابة مسرحية كواجب مدرسى .

الأب : مسرحية أخرى ؟

(يحمل إبراهيم الكئوس على صينية ويسير عبر الصالة ويصل إلى غرفة الجلوس)

آه ، شكراً يا إبراهيم . سيدتك فى الدور العلوى . إنها ليست على ما يرام .

إبراهيم : إلا تريد كأسها ؟

الأب : لا أعرف . خذ الكأس أنت إليها ياكريستوفر ، وأنظر ماذا تقول .

(كريس يأخذ الكأس ويسرع خارجاً من الغرفة ، صاعداً السلم)

إبراهيم : صداع نصفى ، يا سيدى ؟

الأب : لا أدرى ، لكنها تقول إنها لن تتناول أى عشاء .

إبراهيم : حسناً ، يا سيدى .

(يغادر الغرفة ، وفى طريقه لعبور الصالة يلتقى بكريس الذى يظهر ثانية حاملاً الكأس . ينتظر كريس عند بداية السلم .)

دع هذا لى .

(يأخذ الكأس من كريس ، ويعود إلى المطبخ ، ويضع الكأس مملوءاً في الصيوان ، ثم يأخذ رشفة من الـ " چين " . وفي نفس الوقت يكون كريس قد عاد إلى غرفة الجلوس حيث يسود صمت غير مريح .)

كريس : لم ترغب فى الكأس . مازالت تبكى .

(صمت .الأب يتناول جرعة كبيرة من الويسكى)

الأب : هل تستمتع بكتابة تلك المسرحيات ؟

كريس : نعم . أعتقد أننى أريد أن أكون كاتباً .

(يفكر الأب فى الأمر للحظة وهو مندهش)

الأب : ماذا ، هل تقصد تحترف الكتابة ؟

كريس : نعم .

الأب : حسناً

(يفكر للحظة ، ثم يرشف الوسكى ، ويومىء برأسه.)

الأفضل أن تبدأ بأسرع ما تستطيع .

كريس : هل هى حقاً فكرة جيدة ؟

(كريس أرتج عليه الأمر بسبب موافقة الأب السهلة)

الأب : كل الكتاب الكبار بدءوا صغاراً : " كانون دويل ، رايدر هاجارد ، روبرت لويس ستيفنسون " .

كريس : بدءوا صغاراً ؟

الأب : " كانون دويل " بدأ النشر وهو فى الرابعة عشرة ، على ما أعتقد، كما أن رايدر هاجارد أخذ قصته *مناجم الملك سليمان* إلى أحد الناشرين وهو فقير جداً . وفى تلك الأيام كان أمام الكاتب طريق من اثنين : إما أن يبيع حقوق النشر مباشرة ، أو ينتظر نصيبه فى الأرباح . حسناً ، لقد كان " هاجارد " فى حاجة للمال ، ولهذا وقع عقد بيع حقوق النشر بمبلغ مائة جنية . وقد كان فى طريقه للخروج حين قال له أحد الموظفين فى المكتب الخارجى : " يا سيد هاجارد ، أعرف أن هذا ليس من شأنى ، لكننى قرأت كتابك وأعتقد أنك لا يجب أن تبيع حقوق النشر ." وهكذا عاد " رايدر هاجارد " أدراجه وقال : عفواً ، لقد غيرت رأيى ، وقد سمحوا له بذلك ، وهكذا حقق ثروة طائلة . إذن تذكر ، لا تبع حقوقك فى النشر .

كريس : لن أفعل .

(فى المطبخ ، انتهى إبراهيم من تقشير البطاطس ، والآن يقوم بلف شريحة البطاطس الزائدة بعناية فى مزقة من ورق الجرائد ويضعها فى جيب " جلابيته " يأخذ رشفة أخرى من الـ " چين " فتنتابه رعشة اللذة)

الأب : كل الكتاب الجيدين بدءوا الكتابة بمجرد أن لمحوا الضوء .

إذن !!

كريس : سوف أفعل .

الأب : حسناً ، هذا رائع .

(تخبو الأضواء عن غرفة الجلوس ، بينما يقوم إبراهيم بابتلاع قرصى علاج القلب مع آخر جرعة " چين ")

عشرة

كريستوفر

كريستوفر : كانت موافقة أبى السهلة كريمة ، وكان حماسه معدياً ، لكننى كنت أعرف ، حتى فى ذلك الوقت ، أن تشخيصه لابد وأن يكون خاطئاً . لقد كان أحترافى الكتابة بالنسبة له نوعاً من المغامرة ، لقد تخيل إن هذه المهنة هى النعيم ، لكن دروسى فى اللغة الفرنسية نبهتنى إلى أنها سوف تكون جرحى . كان هناك تمثال لممنون فى الصحراء الخارجية ، وقد كان يسمع أحياناً وهو يغنى : لكنه كان يغنى حين تغرب الشمس فقط . لقد كان بإمكانى أن أعرف أن الأمر سيتحول إلى شىء مثل هذا ، وحين تحدث أبى عن هؤلاء الذين لمحوا الضوء ، عرفت أن الأمر ليس هكذا : لقد لمحت أنا الظلام . كانت الخماسين ، تلك الرياح الساخنة التى تهب من الصحراء كل ربيع ، سيئة عام ١٩٥٦ ، واستمرت حتى رمضان ، مما فاقم الجو الغريب بالفعل ، ذلك الجو الذى ولده صيام الأهالى خلال ساعات النهار . كانت هناك عواصف مفاجئة ، وخلال واحدة من تلك العواصف شاهدت شجرة الأوكاليبتوس تومض فجأة بالضوء الأزرق . ولقد ترك الضوء شريطاً أسود على لحاء الشجرة وقد بحثت عن حربائى ووجدته على فرع قريب ، داكن اللون ، أرقشا ، وتبدو عليه سيماء الغضب . مددت له يدى ، لكنه فغر فاه واسعاً ، وهسهس ، وفعل شيئاً يدل على عدم الاكتراث : أرخى قبضته ، وهوى كالحجر ، وتجمد كالتمثال على الحشائش . وكان هذا آخر عهدى به .

فى بداية يوليو ، عاد " المدير " إلى الوطن فى أجازة ، وعهد إلى أبى بإدارة محطة الإسكندرية مؤقتاً . وبعد ثلاثة أسابيع ، وكما هو معروف، بدأت المتاعب .

(يسمع صوت جمال عبد الناصر فى خطاب ٢٦ يوليو ١٩٥٦ فى الإسكندرية ، والذى أعلن فيه تأميم قناة السويس . صوته قوى ، وتبدو عليه إمارات الثقة ، مما يلهب حماس الجماهير . يختفى الصوت لنسمع أستجابة إيدن : حديث رئيس الوزراء فى الإذاعة يوم ٨ أغسطس . وعلى عكس عبد الناصر ، فإن صوت إيدن يبدو عليه التردد وعدم الثقة ، والإنهاك)

كل هذا بدا لى أقل خطورة من نزيف الدم عام ١٩٥٢ ، وربما كان السبب أن الصبية غير البريطانيين فى المدرسة البريطانية للبنين كانوا أكثر تسامحاً من أمراء كلية ڤيكتوريا . لقد اعتدى على فتى يدعى بكرى فى دورة المياة ، لكننى كنت محظوظاً حين أستطعت الإمساك بقدمه الضاربة ، وكانت النتيجة أن اصطدم رأسه بإحدى المباول ، وفيما بعد ، أنطوى بكرى على نفسه . وفيما عدا تلك الحادثة ، لم يكن هناك شيء ذو بال . ثم إننى لم أكن مهتماً بالسيد أنطونى إيدن ، بل كنت مهتماً بـ شرق عدن [(١)] ، الذى كانت تعلق عليه أمى بطريقتها المعتادة.

(صوت مفتاح فى الباب ، تدخل على إثره الأم إلى المنزل ، وخلفها كريس والأب . الوقت مساء ، ولأول مرة ، إبراهيم غير موجود .)

الأم : يالها من نهاية سخيفة .

كريس : لا ، لم تكن كذلك .

الأم : حسناً ، أنا لم أفهم عن ماذا تدور الأحداث .

---

(١) يلعب هامبتون على التجانس بين اسم " إيدن " و " عدن " فى فيلم **شرق عدن** ولهما نفس الهجاء فى الإنجليزية Eden . (المترجم) .

كريس : لكنه كان ممثلاً جيداً ، أليس كذلك ؟ حتى فى طريقة ركله للحجر .

(وصلوا جميعاً إلى غرفة الجلوس : الأب يشعل سيجارة ويعرض على الأم واحدة من العلبة ، لكنها ترفض)

الأب : كان شريط الأنباء منذراً بالخطر .

الأم : ولكنى لم أفهم سبب صوتهم العالى ، مع ذلك .

الأب : أعتقد أنكم ستضطرون لمغادرة البلاد سريعاً .

الأم : حسناً ، أنا لن أغادرها هذه المرة . نتجشم مشقة الطريق عائدين إلى الوطن . وقبل أن نغادر السفينة يكونون قد غيروا رأيهم . إن الأمر كله مربك للولد .

الأب : لدى إحساس بأن المسألة ستكون أكثر جدية هذه المرة .

الأم : حسناً ، ماذا يظن نفسه فاعل باختطاف الفتاة ؟

الأب : لكننا والفرنسيون لا نمتلكها على وجة الدقة . فالتأجير ينتهى عام ١٩٦٨ . لقد ظهر دزرائيلى من العدم واستولى عليها نظير ٤ مليون . فهى ملك مصر عملياً .

الأم : لقد استولى على الأموال .

الأب : حسناً ، إنه يحتاجها لبناء السد العالى . لقد وعده الأمريكيون بالمساعدة ، ثم تخلوا عنه .

الأم : هذا لأنه أغضبهم بشرائه الأسلحة من تشيكوسلوفكيا .

الأب : حسناً ، لقد رفض الأمريكيون بيع السلاح ، كما رفضنا نحن .

الأم : قرار صائب ، مادام سيصوبه إلى صدورنا .

(صمت . الأب يجذب نفساً طويلاً من سيجارته ، ويخرج عدداً من دوائر الدخان المحكمة ، مما يثير سعادة كريس .)

الأب : حسناً ، حين أتينا إلى الأسكندرية لأول مرة ، كان هناك ما يزيد على مائة موظف إنجليزى فى الشركة . والآن أصبحنا أربعة فقط . فالموظفون المصريون يضارعوننا فى المهارة . لقد حققنا أرباحاً طائلة من هذا البلد والآن علينا أن نعيدها إليهم . كل الأرباح .

الأم : حسناً ، أنا لا أفهم شيئاً عن هذا ، كل ما أعرفة أننى لا أريد العودة إلى الوطن هذه المرة . إن الموضوع لا يستحق عناء المحاولة . والأحوال هنا كما هى منذ أن كنت أنا فتاة صغيرة .

الأب : هل هذا صحيح ؟

الأم : ما زلت أتذكر حين كنت فى حوالى الخامسة ، بعد الحرب مباشرة ، الحرب العالمية الأولى ، أتذكر أننى كنت فى السويس وكانت هناك بعض أعمال الشغب .

كريس : وماذا كان السبب ؟

الأم : ليس عندى أى فكرة ، كان نوعاً من الإضراب ، لست متأكدة ، لكننى أستطيع أن أتذكرهم الآن قادمين من أول الشارع ، رابطين أنفسهم معاً بعممهم عند أعلى الذراع ، حتى لا يستطيع البوليس أن يفرقهم على ما أعتقد . على أى حال ، بدأ حوالى سته منهم الصعود من السلالم الخلفية ، ولهذا تحدثت ماما مع الطباخ الذى كان يجهز الحساء للعشاء : وهكذا حمل الطباخ الإناء الضخم بمزقة ملابس وصبه عليهم .

كريس : ثم ماذا حدث ؟

الأم : حسناً ، لقد أنصرفوا وهم يصرخون تجاهنا ، كما أتذكر .

(صمت . يبدأ كريس فى السير ذهاباً وإياباً ، وأضعاً يديه فى جيبه ، محنيا أكتافه، مغلقاً عينيه نصف إغلاق خلف نظارته السميكة . الأم تراقبه لفترة وهى مندهشة) .

من تقلد ؟

(يتوقف كريس ، ويخرج يديه من جيبه)

كريس : هل چيمس دين ميت حقيقة ؟

حادى عشر

إضاءة عند مهبط الدرج حيث يظهر إبراهيم جاراً قدميه بسبب صندوق الأمتعة الضخم الذى يحمله على ظهره . الوقت حوالى التاسعة صباحاً . يهبط إبراهيم السلالم واحدة بعد الأخرى بصعوبة ومعاناة تظهران على لهاث أنفاسه . فى لحظة معينة يدخل الأب مسرعاً من الباب الأمامى فيرى إبراهيم فيتخوف عليه .

الأب : هيا ، دعنى أساعدك .

إبراهيم : الأمر على ما يرام يا سيدى . كله تمام .

(عند هذه النقطة يكون الأب قد وصل إلى إبراهيم)

الأب : دعنى أساعدك .

(ينسل حول إبراهيم ويحمل معه الصندوق . إبراهيم يستدير ويحمل الصندوق مع الأب ، ثم يهبطان السلم سوياً ويخرجان من الباب الخارجى . لاشىء يحدث للحظة ثم يظهر كريس عند مهبط الدرج حاملاً حقيبة سفر ، وخلفه الأم حاملة حقيبة أخرى ، وجراب)

الأم : لا أعرف لماذا يجب علينا أن نغادر المنزل فى هذه الساعة المبكرة ، سوف ننتظر فى المحطة للأبد .

كريس : أبى يحب أن يتخذ جانب الحيطة .

الأم : لا يبدو الأمر لى إلا وكأننا لن نلحق بقطار الأمس .

(عند هذه النقطة يكونا قد وصلا إلى الصالة ووضعا حقائبهما على الأرض . يظهر إبراهيم فى التو وقد غطاه العرق ، وأنحرف طربوشه) .

إبراهيم : سيدى يخرج السيارة .

الأم : اعتنى بكريس لبضع دقائق ، سوف أذهب إلى الجيران لأودعهم سريعاً .

(تخرج . إبراهيم يتنفس بصوت مسموع وهو يتجه نحو المطبخ وخلفه كريس . فى المطبخ يعثر إبراهيم على " فوطة مطبخ " فى أحد الأدراج ويستخدمها لتجفيف عرقه . يضع يده على قلبه . لحظة إلهام تهبط على كريس فيحضر كأساً وزجاجة ويصب له بعض الويسكى ويعطى له الكأس . إبراهيم يبتلع ما فى الكأس فى جرعة واحدة) .

إبراهيم : يجب ألا نشرب حتى تقارب الشمس على المغيب ، أليس كذلك ؟

كريس : ليس إذا كان الويسكى علاجاً .

إبراهيم : أنا مسلم طيب ، كما تعلم ، أصلى وأصوم رمضان ، وأرعى زوجاتى .

لكن شيء واحد يغرينى بأن أكون مسيحياً : الويسكى . وأنا أعلم أن تلك خطيئة .

كريس : معلش Ma'lesh.

(إبراهيم يبتسم)

إبراهيم : حين تعود إلى إنجلترا عليك بالذهاب إلى سير إيدن ، وقل له أن يكبح جماح نفسه . يجب أن يحادث سير ونستون تليفونياً ، وسير ونستون سيقول له لا تكن رجلاً سخيفاً . سير ونستون يعرف أن كولونيل ناصر ليس هتلرا ثانياً ، لأنه يعرف هتلر الأول . إنه لن يقول كلاماً أحمقاً مثل كلام سير إيدن . لماذا لايعود سير ونستون مرة ثانية ؟

كريس : أبى يقول أنه عجوز جداً .

إبراهيم : طيب ، العجوز أفضل من الغبى ، أليس كذلك ؟

كريس : أعتقد أنك مادمت تنظر إلى الأمر من هذه الزاوية . . .

(الأب يعود إلى المنزل ، ينظر حواليه ، ثم يتجه إلى المطبخ ، وتبدو عليه آثار التوتر)

الأب : هل أنتم جاهزون ؟ أعتقد أنه يجب علينا أن نكون فى الطريق الآن . أين أمك ؟

كريس : عند الجيران .

الأب : من الأفضل أن أذهب وأعود بها وإلا ستقضى الصباح كله هناك .

(يخرج ثانية ، ويحمل الحقيبتين من الصالة . إبراهيم يسرع إليه لكى

يساعده ، لكن الأب يصرفه)

بأمكانى أن أتصرف .

(يخرج . يعود إبراهيم إلى المطبخ)

إبراهيم : حين تصبح رئيساً للوزراء ،لن تقوم بأى تصرف أحمق ، أنا واثق .

كريس : لن أكون رئيساً للوزراء يا إبراهيم ، لن أستطيع أن أكون رئيساً للوزراء حتى لو أفترضنا أننى أردت ذلك .

إبراهيم : لا . أنت تريد أن تكتب قصصاً .

كريس : هذا صحيح .

إبراهيم : نعم . هذه وظيفة أفضل من وظيفة إفساد حياة الناس .

كريس : هل هذا ما يفعله رؤساء الوزارات ؟

إبراهيم : طبعاً . إنهم دائماً يقولون : "أنا سأصلح كل شىء ." هذا كذب وهم يعرفون إنه كذب . الإنسان الذى يحب الحقيقة يمتهن وظيفة أخرى .

كريس : هل تعنى أن أى إنسان يريد أن يكون رئيساً للوزراء لا يستحق أن يكون رئيساً للوزراء .

إبراهيم : عين الصواب .

(الأب والأم يعودان)

الأب : هل أنت قادم يا كريستوفر ؟

(كريس وإبراهيم يتجهان نحو الصالة .)

الأم : حسناً ، أعتنى بنفسك يا إبراهيم . سوف نعود بأسرع مما تتصور .

إبراهيم : بالطبع يا سيدتى .

(يتصافحان ، وينحنى إبراهيم انحناءة خفيفة . الأب يلتقط الجراب .)

الأب : سوف أراك فيما بعد .

إبراهيم : نعم يا سيدى ستعود للغداء .

الأب : لو سار كل شيء على ما يرام .

الأم : قل وداعاً لإبراهيم يا كريستوفر .

(كريس كان يقف جانباً ، ينظر إلى إبراهيم ، وقد أصابه بعض التشوش نتيجة لسرعة الأحداث . والآن ينظر إليه إبراهيم بجلال)

إبراهيم : كن ولداً طيباً .

كريس : سوف أكون .

(فجأة يحتضنه إبراهيم احتضاناً دافئاً ، ثم ينحنى ويقبله على الخد ، ثم يخلع طربوشه فى النهاية ويضعه على رأس كريس)

إبراهيم : هذا لك حتى تتذكرنى وأنت فى أنجلترا .

كريس : شكراً لك .

(كريس يبكى . الأم تمسك بيده وتصحبه إلى الخارج . يلتفت ناظراً إلى إبراهيم)

إبراهيم وعد سريعاً إلى الإسكندرية .

(بعد أن يخرجون ، يقف إبراهيم وحده للحظات ، بينما تخفت الإضاءة. يضع ظهر يده على خده)

ثانى عشر

بينما تخفت الأضواء ، يرتفع صوت الإسكندرية : ضوضاء المرور ، والترام المار بعيداً ، وصرخات الشارع ، وصوت الموسيقى المنبعث من راديو الجيران ، وصوت " بيللا " الخشن يصدر أوامره للباعة باللغة اليونانية ، وصوت المؤذن . يستمر هذا فى الظلام لفترة ثم يتوقف فجأة، وفى نفس اللحظة ترتفع الإضاءة على كريستوفر واقفاً أمام سور من السلك السميك ، يتكون من شكل الجوهرة المتكرر ، مرتكزاً على قوائم خشبية . إضاءة انجليزية باردة .

كريستوفر : قلت وداعاً للإسكندرية ، فهجرتنى . وكانت الصورة الأخيرة التى بقيت معى لمصر ، صورة ماسح أحذية يقف عند أحد حواجز الماء الذى حولته " البحرية الملكية " إلى حطام بعد عده أسابيع ، وقد صاح الرجل ونحن نصعد إلى الزورق فى بور سعيد " نحن نحب البريطانيين " لماذا ؟ حتى فى ذلك الوقت كنت متحيراً إزاء عمق هذه المشاعر الودية .

كنت قد أرسلت إلى مدرسة أعدادية مشتركة فى " سارى Surrey "، اختارها أبى بعناية من خلال كتيب بغيض . وباستثناء الوطنية ، كانت أكثر الرياضات غير الرسمية شعبية هنا رياضة التصارع على زحافات التزحلق .

(يبدو السور السلكى هو نهاية ملعب المدرسة ، وهنا يظهر زوجان من الأولاد ، كل زوج يقف عند أحد طرفى الملعب ، واحد منهما يمتطى

زحافة التزحلق المباراة تشبه النزال بالسيف ، وهدفها الإخلال بتوازن واحد من المتزحلقين ، الذى يجلس القرفصاء بينما يدفعه زميله بأقصى سرعة فى اتجاة غريمة على الأسفلت. الزوجان يندفعان تجاة أحدهما الآخر بسرعة تتزايد تدريجياً ، بينما يحاولان الهروب من الصدام الحتمى فى اللحظة الأخيرة . يظهر كريس مرتديا زيه المدرس : قميص رمادى ، بنطلون رمادى قصير ، جورب رمادى طويل ، حزام من جلد الثعبان ، رباط عنق أخضر ، ورباط حذاء أسود جديد . إنه يراقب ما يحدث بحذر ، لكنه مفتون بعوده المتزحلقين عند نهاية السور لكى يواصلوا صدامهم وفى المرة الأخيرة ينجح واحد من الأولاد فى دفع زميله بمهارة تتسبب فى إيقاع منافسة . من بعيد يأتى صوت جرس يدق . يبدأ المتزحلقون فى خلع زحافاتهم ، ولهذا يستدير كريس لكى يغادر المكان ، لكن واحداً من الأولاد يوقفه)

الولد الأول : هل لديك زحافة ؟

كريس : أنا ؟

الولد الأول : نعم أنت .

كريس : لا .

الولد الثانى : لا أعتقد أن لديهم زحافات فى المكان الذى جئت منه .

كريس : بل لديهم .

الولد الأول : أراهن أنك لا تعرف كيف تستخدم الزحافة .

كريس : بالفعل لا أستطيع .

الولد الثالث : لأنك مشغول بحب الدهماء .

الولد الأول : هل أنت محب للدهماء ؟

كريس : لا .

الولد الثالث : نعم ، أنت محب لهم .

كريس : لا ، لست كذلك .

الولد الرابع : لقد سمعت ما كنت تقوله أمس .

الولد الأول : ماذا كان يقول ؟

كريس : قلت فقط إنهم إذا ما ذهبوا للحرب بسبب قناة السويس فإنه يجب الكشف على قواهم العقلية . وهذا ما يقوله أبى .

الولد الثالث : إن عمى طيار .

الولد الثانى : محب للدهماء .

الولد الأول : دعنا نريه الثقب فى السور .

(يقوم الأربعة بالإمساك بكريس وحمله حتى السور ، بينما يحاول هو التخلص منهم. الثقب المشار إليه ليس فى الحقيقة ثقباً ، ولكنه جزء منتزع من السور قرب مستوى الأرض عند نهاية الملعب . كريس يُطرح أرضاً على وجهه ، ويدفع من خلال الثغرة ويلكم حتى يختفى عن الأنظار . بعد الانتهاء من كريس ، يجمع الأولاد زحافاتهم ، ويسرعون بالخروج مبتهجين ، تاركين كريستوفر وحده على خشبة المسرح)

كريستوفر : كان الهدف من هذا هو إلقائى فى حديقة الناظر المعشبة ، والتى كان محظوراً دخولها ، وعقاب دخولها الضرب . جثوت على أربع ، وأختفيت بين الشجيرات حتى أصبح الجو آمناً بحيث لا يضبطنى أحد من الإدارة أو يمسكنى الأولاد ويدفعوننى فى الثغرة ثانية . والآن تم الأعتداء على بضراوة لكونى ضد البريطانيين ، كما تم الاعتداء على من قبل لكونى بريطانياً : وقد ساهمت تلك الأعتداءات المتماثلة مساهمة فعالة فى نضجى السياسى . لقد أصبحت منذ ذلك الوقت حذراً من كل أنواع اليقين .

ظل أبى يحاول إدارة المكتب فى ظل ظروف صعبة ، ولهذا لم يكن راضياً عن النتائج حين أصبح المكتب هدفاً أولياً لغارات سلاح الجو الملكى R A F فى الأيام الأولى من نوفمبر . بالطبع كان أبى يتفهم الضرورة الاستراتيجية للتخلص من شبكة الاتصالات ، خاصة وأن الضحية الوحيدة كانت حامل الصولجان فى الكنيسة البروتستانتية المجاورة ، الذى كان فى الثمانينات من عمره والذى يمكن أن يقال عنه أنه استمتع بعده جولات فى حياته ، لكنه لم يستطع أن يتقبل الأمر كله بروح طيبة وكان ذلك موقف كولونيل ناصر أيضاً ، وله العذر . لقد تم الاستيلاء على كل الممتلكات البريطانية والفرنسية فى مصر ، وتم جمع موظفى مكتب شركة الاتصالات السلكية واللاسلكية فى القاهرة ، وإحضارهم إلى الإسكندرية وأحتجازهم فى فندق سيسيل . أما أبى فقد وضع رهن الاعتقال فى منزله : لقد تحول أبى ، بالرغم من كل شىء ، إلى رهينه .

ثالث عشر

يتجه كريستوفر صوب المنزل ، فى نفس الوقت الذى ترتفع الإضاءة عليه ، ويخلع نظارته متحولاً إلى " الأب " ، منتظراً إبراهيم وهو يتعثر مع كوب من الشاى عبر الصالة .

الأب : دعنى آخذ هذا .

(يأخذ الشاى ، ويفتح الباب الأمامى ليظهر فيه جندى حراسة مصرى ضخم ، حاملاً مدفعاً رشاشاً ، ومرتدياً زى الجيش المصرى)

هل لك فى كوب من الشاى ؟

الحارس : شكراً لك ياسيدى .

الأب : قطعتان من السكر ، أليس كذلك ؟

الحارس : مضبوط .

الأب : اسمع ، لم لا تدخل ، وترح قدميك لدقيقة ؟ تناول قطعة بسكويت .

(الحارس يتردد رغم إغراء العرض)

الحارس : حسناً ، هذا كرم . . .

الأب : ادخل .

(يستدير بهمة ويقود الحارس إلى غرفة الطعام ، حيث ينتظره كوب من الشاى ينبعث منه البخار ، وبعض البسكويت . إبراهيم يراقب الحارس داخلاً ، ثم يتلكأ عند الباب ، وتعبيرات وجهة تنم عن عدم رضاه بما حدث . فى نفس الوقت ، يضع الحارس مدفعه الكلاشنكوف

على المائدة بعنف ، ثم يغوص فى أحد المقاعد. يرشف الحارس الشاى ، ويأخذ بعض البسكويت)

لابد وأن الأمر ممل لك فى الخارج .

الحارس : ولك أيضاً يا سيدى هنا .

الأب : حسناً ، أنا أستطيع أن أقرأ كتاباً كما تعلم ، أو أحل الكلمات المتقاطعة، أو أستمع إلى الراديو وقت الإرسال .

الحارس : إبراهيم يقول لى إن الطيران البريطانى ، يضرب شركتك بالقنابل .

الأب : حسناً ، لقد حاولوا ، لكنهم أخطأوا . ضربوا الكنيسة .

الحارس : تس ، تس ، تس .

(يهز يده إلى أعلى وإلى أسفل فى إشارة تعاطف. الأب يعرض عليه سيجارة ، فيأخذها ، ويجذب أنفاسها بتنعم . إبراهيم يراقب ما يحدث فتلتقى عيناه بعينى الأب . يضيق إبراهيم عينيه وكأنه يغمز ، ثم يومىء بشكل غير محسوس . يسأل الحارس سؤالاً بالعربية ، فيجيبه الحارس بحذر . ثم يوجه إليه إبراهيم سؤالاً أطول . صمت . ثم يستدير الحارس إلى الأب)

إبراهيم يسألنى سؤلاً مثيراً للإهتمام .

الأب : وماذا كان السؤال ؟

الحارس : إنه يسأل لماذا لا يوجد حارس على البوابة الخلفية .

الأب : وما هى الإجابة .

(لحظة صمت ، بينما يجذب الحارس أنفاس سيجارته ، مفكراً فى الأجابة)

الحارس : حتى يمكنك أن تدخل ، وأن تخرج . . (يشير إلى نفسه) حارس البوابة الأمامية ، لا يستطيع أن يراك : وهكذا يكون كل إنسان سعيدا .

(يبتسم الأب ثم يصدر ما يمكن أن يكون تعليقاً عاماً ، ولكنه تعليق موجه بوضوح إلى إبراهيم)

الأب : تصرف طيب :

(تخفت الأضواء على المنزل)

رابع عشر

ترتفع الإضاءة على غرفة عمل ناظر مدرسة كريس الإعدادية . الناظر، وهو أصلع بأستثناء خصله من الشعر الرمادى الخفيف ، يجلس إلى مكتبه لينجز بعض الأعمال المكتبية . إنه يرتدى چاكيت من التويد ، محلى برقع جلدية عند الكوعين ، فوق صدرية خضراء . إلى جوار مكتبه توجد سلة مهملات معدنية خضراء ، وعلى مكتبه طربوش إبراهيم مقلوباً ، وعده تدخين الغليون كاملة ، وخيزرانة مستطيلة دقيقة ، ناعمة، طرقة على باب غير ظاهر .

الناظر : ادخل .

(يدخل كريس ويقف أمام مكتب الناظر ، وقد بدا عليه القلق خاصة وأن الناظر يواصل بهدوء استكمال عمله فى بعض الأوراق . أخيراً يتوقف الناظر عن الكتابة ، ويحكم إغلاق غطاء قلمه الحبر ، ويضعه بعناية ، ثم ينظر إلى كريس)

أعتقد أنك تعلم سبب إرسالى فى طلبك هذا المساء .

كريس : نعم يا سيدى .

الناظر : أنت جديد فى المدرسة ، وأنا أتفهم احتياجك للوقت حتى تتوائم مع زملائك : ولكن لأسباب قد تبدو مفهومة وإن كان ينقصها الصواب ، فأنا لا أعتقد أنك تبذل الجهد المطلوب لكى تحقق هذا التوائم .

كريس : أنا آسف يا سيدى .

الناظر : إن أمتنا تواجه تحدياً لم تواجهة منذ أيام الحرب السوداء : وأنا لا أستطيع ببساطة تقبل قيام الأولاد بهدم الروح المعنوية . هل كلامى مفهوم ؟

كريس : نعم يا سيدى .

الناظر : كما تعرف ، فإن بعضاً من أولادنا ، بل وبعض المدرسين ، لهم صلة بالعسكريين . لقد خرجت قواتنا إلى هناك مخاطرة بنفسها من أجل الوطن ، ولا أعتقد أن طعنها فى الظهر يعد عملاً ذكياً أو مسلياً ، أليس كذلك ؟

كريس : لا يا سيدى .

الناظر : لقد فكرت في الأمر طويلاً ، ووضعت الظروف فى الاعتبار ، وقررت أن العقاب لا يجب أن يكون الضرب .

كريس : شكراً لك يا سيدى .

الناظر : ليس هذه المرة على أى حال . لكننى أحذرك من أن تكرر مثل هذه التعليقات غير الوطنية التى عرفت أنك تقولها هناك . حدود

لتسامحى، هل تفهم ؟

كريس : نعم يا سيدى .

(إمارات الارتياح تبدو على الناظر بعد أن أنجز موعظته)

الناظر : تفضل بالجلوس لحظة .

يجلس كريس على طرف كرس قريب معتدل الظهر وإمارات القلق ما زالت بادية عليه. الناظر يبدأ فى إعداد غليونة وملئة بالدخان من الكيس وهكذا.)

لقد عرفت أن والدك ما زال هناك ، ولا أعتقد أنكم عرفتم أى شىء عنه منذ بدء المعارك .

كريس : بل تلقت أمى رسالة منه يوم الجمعة . رسالة أحضرها أحد الأصدقاء .

الناظر : وهل روحه المعنوية عالية ؟

كريس : حسناً ، ليس بالضبط يا سيدى ، فهو غاضب جداً .

الناظر : هل يحتجزونه ؟

كريس : لا ، بل أنه يبدو قادراً على الانتقال بحرية تامة .

الناظر : لماذا هو غاضب إذن ؟

كريس : حسناً ، لقد حاول سلاح الجو الملكى قتله . وهو يقول إنه لم يسمع أبدا عن تصرف بوليسى كهذا : حيث يحضر البوليس إلى المنزل المسروق ، ويقيد المالك ، ويضربه على رأسه ، ثم يسلم السارق جوال الغنيمة .

(صمت . الناظر يقطب جبينه)

الناظر : هل هو من " العمال " ؟

كريس : لا لا يا سيدى ، إنه مهندس[1] .

الناظر : لا شك أن الانغماس فى قلب الأشياء يمكن أن يشوه رؤية الإنسان بشكل من الأشكال . ولا أظن أن قيامك بنشر ما قلته أنت الآن فى أرجاء المدرسة سيكون فى صالحك . هل تفهمنى ؟

كريس : نعم يا سيدى ، أفهمك .

الناظر : حسناً ، والآن هل لديك شىء تود أن تسألنى عنه ؟

كريس : لا يا سيدى ، لا أظن ذلك .

الناظر : حسناً جداً ، يمكنك الانصراف . وتذكر ما قلت لك .

(يقف كريس ، ويتردد للحظة محاولاً التماسك لطرح سؤال . الناظر يبدأ فى تدخين غليونة)

كريس : سيدى .

الناظر : نعم ، ما الأمر ؟

كريس : هل يمكننى استعادة طربوشى ، لو سمحت يا سيدى ؟

الناظر : آه ، أنا سعيد أنك ذكرتنى به ، لقد نسيت تقريباً .

---

(١) الناظر يقصد انتماء الأب إلى حزب " العمال " الأشتراكى المعارض ، بينما يفهم كريس الكلمة بمعناها الحرفى المباشر . (المترجم)

(يجذب أنفاس غليونة بصوت مسموع لفترة قصيرة)

فى هذا المنعطف التاريخى ، أعتقد أن الطربوش يمكن أن يوصف فقط بأنه عنصر مستنفز .

كريس : سوف أخفيه يا سيدى ، فى حقيبتى .

الناظر : آسف . لا أستطيع المخاطرة بهذا .

(بمجرد أن يقول هذا ، يخرج الناظر علبة من الصفيح تحتوى على بترول القداحات ، وينشره فوق الطربوش ، ويشعل فيه النار . لا يستطيع كريس السيطرة على مشاعره فيمد يده ، لكنه يردها فى آخر لحظة مسيطراً على نفسه ، لكنه يظل محملقاً فى الطربوش بينما يقوم الناظر بالتقاط الطربوش وقذفه فى سله المهملات ، ثم ينظر إلى كريس ، الذى تسمر فى مكانه.)

قد تبدو تلك غلظة ، لكن حين يتقدم بك العمر ، سوف تفهم أن هناك أسباباً وجيهة لقيامى بهذا العمل .

(بينما يتحدث الناظر ، تخفت الإضاءة عليه وعلى كريس ، بينما تزداد على كريستوفر ، الذى يبدو عليه التردد قبل أن يتكلم .)

كريستوفر : بالرغم من النوايا الحسنة ، فقد كان الموقف أكثر عمقاً بلا شك وكل ما قيل لم يترك إلا أثر ضعيفاً على ، لأننى كنت واقفاً هناك ضاماً يداى فى حزن .

خامس عشر

ترتفع الإضاءة على المنزل حيث يقوم إبراهيم ، الذى يرتدى جلابيته وطربوشه الجديد ، بإعداد الإفطار للأب فى المطبخ . الجو مظلم لأن الوقت ما زال قبل الفجر ، الذى تسطع أضواءه رويداً رويداً . كريستوفر يراقب إبراهيم للحظة ، قبل أن يلتفت إلى المتفرجين لمحادثتهم.

انتهت مغامرتنا العسكرية ، كما تعلمون ، نهاية مفاجئة ومخزية ، وفجأة انتهت الأمبراطورية البريطانية . يا لها من نهاية مضحكة . وقد تسلم أبى ، الذى مكنته قدرته على الحركة من الاشراف على الإدارة والعمل على راحة المحتجزين فى فندق سيسيل ، تسلم أمر طرد فى غضون ثلاثة أسابيع من الغزو . كان لديه أربع وعشرين ساعة ليرحل .

(يخرج . إبراهيم يجهز الإفطار . فى غرفة الطعام ، وفى التو يظهر الأب حاملاً حقيبة سفر عند مهبط الدرج ثم يهبط السلم . يضع الحقيبة فى الصالة ويدخل إلى غرفة الطعام . يكشف إبراهيم بتأنق غطاء طبق من البيض ولحم الخنزير)

الأب : آه ، يا إلهى ، ما كان عليك أن تفعل كل هذا يا إبراهيم .

إبراهيم : كيف يمكنك أن ترحل خالى المعدة يا سيدى ؟

الأب : أنت تفرط فى تدليلى ، كالعادة .

(يجلس إلى المائدة ، ويبدأ فى تناول إفطاره دون سعادة لفترة ثم يبتلع طعامه بصعوبة)

لا فائدة هناك على ما أعتقد . سوف أقول لك على شىء. ما رأيك فى كأس ويسكى بالصودا ؟

إبراهيم : لا يا سيدى ، أنا لا أشرب ، كما تعرف ، لأن هذا ضد دينى . ثم إن الوقت ما زال مبكراً .

الأب : ما الساعة الآن ؟

إبراهيم : بعد الرابعة .

الأب : هل لديك مانع من الخروج لترى ما إذا كان السائق قد حضر ؟

إبراهيم : لا طبعاً ، يا سيدى .

(يغادر الغرفة ، ويحمل الحقيبة ، ويفتح الباب الأمامى ويختفى . يقف الأب ويدخل المطبخ ، ويخلط كأسين طويلين من الويسكى بالصودا . حين ينتهى من هذا يكون إبراهيم قد عاد من الخارج ، وهو يتحدث أثناء عبوره الصالة)

إنه هنا يا سيدى ، لكنه يقول لا تقلق ، أمامنا الكثير من الوقت .

(يدخل المطبخ فيناوله الأب أحد الكأسين)

الأب : خذ .

(إبراهيم يأخذ الكأس ويرفعه)

إبراهيم : نخبك يا سيدى .

الأب : نخب الأيام السعيدة .

(إبراهيم يشرب ، لكنه غير قادر على إخفاء تقطيبه)

جرعته جرعاً ، أليس كذلك ؟

(يصب مزيدا من الويسكى فى كأس إبراهيم .)

أحسن ؟

إبراهيم : تمام .

(صمت أثناء قيامها بالشرب)

الأب : والآن يا إبراهيم ، هناك شىء أو شيئين كنت أود قولهما لك .

(يخرج رزمة نقود مصرية من جيبه الداخلى)

أولاً ، أنا أريدك أن تأخذ هذه النقود . إنها حوالى مائتى جنية .

إبراهيم : لا يا سيدى ، لو سمحت . . .

الأب : إنها لن تفيدنى فى الحقيقة ، فلن أستطيع تغييرها فى انجلترا ، فإما أن تأخذها أو تضيع هباء .

إبراهيم : حسناً . . .

الأب : لكننى أريدك أن تعدنى بادخار نصفها على الأقل من أجل دوائك ، موافق

إبراهيم : نعم يا سيدى ، مادامت تلك مشيئتك .

الأب : نعم تلك مشيئتى . ومن الأفضل أن تأخذ هذه أيضاً .

(يسلم إبراهيم مفتاحين)

إبراهيم : ما هذه ؟

الأب : مفتاحا السيارة .

إبراهيم : لا أعرف القيادة ، يا سيدى . . .

الأب : أعرف هذا . لكن إذا لم نعد قبل نهاية يناير ، كما أظن ، فمن الأفضل أن تبيعها .

إبراهيم : لا أعرف يا سيدى .

الأب : وشىء آخر . شىء هام للغاية . كل من فى الشارع يعرف موعد رحيلنا ، وقد سمعت أن النهابين سيصلون فى ظرف ساعة على الأكثر ، وسوف يقومون بنهب المنزل . لهذا أقترح عليك أن تغادر المنزل معى . سوف أقوم بتوصيلك إلى أقرب مكان .

إبراهيم : لا يا سيدى ، يجب أن أبقى هنا ، سوف أغلق الأبواب كما لو كنت فى أجازة . أنا أغلق المصاريع ، وكل هذا ، كما تعلم .

الأب : تستوى كل الأمور الآن على أى حال .

إبراهيم : سوف أبقى لإغلاق المكان .

الأب : حسناً ، لكن تذكر ما قلت لك ، لا تمكث هنا طويلاً ، فلدى إحساس إنهم لن يكونوا رفقاء مع الناس الذين كانوا يعملون مع الإنجليز ، هل تفهم ما أعنى ؟

إبراهيم : نعم . أنا أعرف هؤلاء الأولاد ، وأعرف ما يفعلون .

الأب : من الأفضل إذن أن تأخذ أى شىء تريده من المنزل .

إبراهيم : لا . . .

الأب : أقصد ، لو انتهت الأمور نهاية سعيدة ، فبإمكانك إعادة ما أخذت ، أليس كذلك ؟

إبراهيم : نعم بإمكانى .

الأب : وكيف تواجه زوجاتك كل هذه الإثارة ؟

إبراهيم : حسناً ، أنت تعرف أن الزوجة رقم واحد تعيسة للغاية ، إنها تحب البريطانيين ، ولا تفهم لماذا جن جنون السير إيدن . والزوجة رقم اثنين تظل تردد لقد قلت لك ،حتى أقول لها أخرسى .

(الأب يبتسم . صمت)

الأب : حسناً .

إبراهيم : نعم .

الأب : أعتقد أنه من الأفضل أن . . .

إبراهيم : نعم .

الأب : لا أستطيع إنهاء هذا .

(يقصد الوسكى)

إبراهيم : سوف أعتنى به يا سيدى .

الأب : ليس لدى عنوانك .

إبراهيم : لا .

الأب : أحب أن . . أظل على اتصال بك .

إبراهيم : أنا لا أقرأ الانجليزية يا سيدى . وكل الانجليز راحلون ، فمن يستطيع أن يقرأ الخطابات لى ؟

الأب : أعتقد أنك على صواب .

إبراهيم : نعم .

(يتبع الأب إلى الصالة)

الأب : لقد أخذت الحقيبة .

إبراهيم : نعم ، فى السيارة .

الأب : حسناً .

(يصافح إبراهيم)

شكراً على كل شىء يا إبراهيم .

إبراهيم : شكراً لك يا سيدى .

الأب : الوداع .

إبراهيم : الله معك يا سيدى . .

(يستدير الأب فجأة وينصرف . إبراهيم يراقبه وهو يختفى ، ثم يرفع يده ملوحاً بالوداع . الفجر يشرق . إبراهيم يغلق الباب الأمامى ، ويخرج مفتاحاً من جيب جلابيته ويغلقه بالمفتاح والترباس . يعود إلى المطبخ ، ويأخذ كأسه إلى غرفة الطعام ، ويلتقط شريحة من لحم الخنزير من الطبق ، ويقضمها برفق ، بينما يشرب كأسه . يبدو على إبراهيم الهدوء ، لكن تنهيده عميقة تصدر عنه . يظهر كريستوفر ، بعيداً عن

المنزل ، وهو يرفع نظارته عالياً على أرنبه أنفه)

كريستوفر:قال أبى وداعاً للإسكندرية التى كانت تهجره . وببطء ، تبددت كل التجمعات الأجنبية ، وتغير وجه المدينة للأبد . أما بالنسبة لإبراهيم ، فلم أعرف أبداً ما جرى له ، لكننى ظللت طوال عمرى أسمع صوت قلبه العجوز المريض ، يدق تحت ألواح الأرضية .

(يخرج . ينتهى إبراهيم من تناول قطعة لحم الخنزير ، ويرشف رشفة أخرى من الويسكى ، ثم ينظر فجأة إلى أعلى . هناك صوت غريب ، كانفجار الموسيقى العذبة ، راحل عبر السماء . إبراهيم يبتسم لنفسه ، ثم يسمع صوت تهشم زجاج يأتى من قريب ، هو صوت تحطم زجاج إحدى نوافذ المنزل . شخص ما يدق على الباب ويصيح بصوت أجش باللغة العربية . يضع إبراهيم كأسه ، ويتجه نحو الصالة . دق عنيف على الباب . يعدل إبراهيم جلابيته ، ويضبط طربوشه . صوت تهشم زجاج آخر ، وصرخات قوية خشنة ، وصوت دق أعنف يبدو صادراً عن أسلحة وليس عن قبضات الأيدى . إبراهيم ينتظر ساكناً ، هادئاً ، مواجهاً الباب بثبات ، بينما تخفت الأضاءة .)

خاتمة

أنا لم أجرب من قبل وضع معلومات عن سيرتى الذاتية بشكل مباشر فى قلب العمل المسرحى ، ولهذا فإنه من المناسب إعطاء وصف قصير لطرق استخدام هذه المعلومات . وكبداية أقدم نموذجاً واضحاً : فأنا وعائلتى لم نصل إلى مصر يوم " السبت الأسود " ، بل وصلنا إلى الإسكندرية فى نهايات عام ١٩٥٢ ، أى بعد طرد الملك فاروق . ومن ناحية أخرى ، لم يتوافق هذا اليوم مع عيد ميلادى ، ولكن هذا التوافق ، إضافة إلى سلسلة الصدمات التى نتجت عن أحداث الإسماعلية فى هذا التاريخ والتى انتهت بغزو السويس ، يبرر فى نظرى استخدامى له فى المسرحية بهذا الشكل . وفى كل المشاهد تقريباً حاولت إحداث توافق بين ما بقى فى ذاكرتى ، وما أعتبره استجابة درامية فعالة لهذه الذاكرة . وبنفس الطريقة ،وبالرغم من أننى حاولت أن أتذكر وأرسم نفسى كطفل بأقصى درجة أستطيعها من الدقة ، فإن الشخصيات الأخرى فى المسرحية قد خضعت لتغييرات حتمية : وهذا هو السبب فى إطلاقى اسم " والدة كريستوفر " و " والد كريستوفر " على هاتين الشخصيتين ، بدلاً من تسميتها بأسمائهما الحقيقية .

نموذج أخير : فبينما تم مصادرة طربوشى ، وتحذيرى من التعليقات غير الوطنية ، بواسطة ناظر مدرستى الاعدادية ، فإن طربوش أخى بوب ، الذى كان أكبر منى بسبع سنوات والذى غادر إنجلترا لقضاء أجازته عام ١٩٥٦ ، هو الذى تم إحراقه فى مدرسته العامة ، التى كان لها علاقات جدية مع البحرية البريطانية . لقد تجاهلت شخصية أخى ، وأستخدمت حادثته : بكلمات أخرى ، كان ذلك من عمل الخيال كالعادة .

باختصار : كان الحرباء موجوداً ، لكننى أظن أنه كان مائلاً للخضرة وليس للبياض.

كريستوفر هامتبون

أكتوبر ١٩٩٠

رقـم الإيـداع / ٨٨٨٤ / ١٩٩٦
دولى ٩٧٧ - ٢٣٥ - ٦٣٦ - ٨
مطابع المجلس الأعلى للآثار

مسـرح الحرباء البيضـاء

